

إشكالية تعريب الأساليب في قرارات لجنة الألفاظ والأساليب في مجمع اللغة العربية بالقاهرة/الرابط نموذجاً

د. ياسين أبو الهيجاء *

تاريخ القبول: ٢٠٠٨/٣/١٣

تاريخ تقديم البحث: ٢٠٠٧/٧/٢٤

ملخص

يتناول هذا البحث طائفة من الأساليب والتراكيب المعربة التي أقرتها لجنة الألفاظ والأساليب في مجمع اللغة العربية في القاهرة، ويجمع هذه الأساليب والتراكيب أنها تقوم على إشكالية تعريب الرابط؛ سواء أكان هذا الرابط في الأسلوب أم في التركيب المعرب، أم في الأسلوب أم التركيب الذي أحدثه المعرب. وقد بدا للباحث أن الروابط تنقسم في هذه القرارات إلى ثلاثة أقسام، أوسعها رابط الجر، يليها العطف، ثم الظرف. والبحث يتناول قرار اللجنة الذي يمثل ثمرة بحوث أعضائه ومناقشاتهم في هذا الاتجاه، وقد رمى إلى تحليل هذا النمط من القرارات وتحديد الإشكالية فيه، ومن ثم الحكم على القرار الذي انتهت إليه اللجنة. والبحث بمجموعه دعوة للالتفات إلى جانب لغوي ذي خطر في العصر الحديث ألا وهو مسألة تعريب الأساليب، والاعتناء بها، واستحداث مؤسسات خاصة لمعالجتها ومتابعتها.

الكلمات الدالة: تعريب، أساليب، رابط، قرارات، مجمع.

Abstract

The ambiguity of arabicizing the styles in the decisions made by of committee of word and methods in the arabic language academy in cairo

The resarch tackly agroup of arabicized and structures admitted by the committee of words and methods in the Arabic language academy in Cairo. Those styles and structures are based on ambiguity of arabicizing the connector, either on style or on the arabicized structure or on the styles or the structures made by the arabicizer .

It seems to the researcher that the connectors can he classified into three parts: the prepositional connectors, conjunction and adverb. The research deals with the committee decision which is the fruit of the members debates and discussions, Moreover the research aims at analyzing such kind of decisions disclosing the ambiguity and judging the decision made by the committee.

The research is generally a call for paying attention to an important linguistic aspect which is the issue of arabicizing the styles and establishing new institutions to deal with them.

* قسم اللغة العربية، جامعة أم القرى.

حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة، الكرك، الأردن.

مقدمة

إن جهود مجمع اللغة العربية في القاهرة لمن أجلّ الجهود التي قَدّمت للعربية خِدْمات جليّة ليس من الهين إحصاؤها؛ فقد سعى منذ نشأته سنة ١٩٣٢م إلى مواجهة التحديات التي تكابدها العربية في العصر الحديث، وأصاب كثيراً، وطاش سهمه أحياناً في إصابة غرضه، وهو في كل ذلك من أعظم المؤسسات التي اعتنت بالعربية، وأعلت من شأنها، وسعت إلى نفي تهمة الجمود والتخلف عنها.

ولقد استأثرت المصطلحات بالقسم الأكبر من الاهتمام في مجال الترجمة والتعريب، حتى كادت تغطي على كل الجهود في هذا المجال. والمصطلحات على أهميتها وقيمة الجهد الموجّه للعناية بها، لا تبلغ - فيما أرى - العناية بقضية الأساليب أو التراكيب المعربة، ولئن كانت المصطلحات تهم فئة من المجتمع فإن التراكيب والأساليب تهم كل الناطقين بالعربية جميعاً. والمنتفع لجهود المجمع لا يعجزه أن يستبين أن هذا الجانب لم يُولَّ هذا الأهمية والمكانة التي يستحقها، وقد باتت من أكثر القضايا اللغوية إلحاحاً، فاللغة مادة الاتصال الذي لم يسبق له مثيل - في العصر الحاضر - بين الشرق والغرب، ويمثل التعريب حصان طروادة، في إدخال هذه الأنماط إلى اللغة، والتي لا تلبث أن تغوص في بنيتها اللغوية والثقافية.

ولا نجاوز الحقيقة إذا قلنا إنه ينبغي لكل من يمتلك قراراً من المعنيين بهذه اللغة الشريفة أن يعمل على إنشاء مؤسسة خاصة؛ ملحقة بالمجامع أو المؤسسات المعنية باللغة، أو مستقلة، همّها واهتمامها متابعة تعريب الأساليب والألفاظ، والاشتراك في نقلها إلى العربية، تسنّضياً بما سنّه مجمع القاهرة في بداياته، وتتلاقى الهئات التي وقع فيها، وتركز اهتمامها على مراكز التعريب ومؤسساته، تدرس إنتاجها وتندارس تراكيب المعربين وألفاظهم، وتعمد إلى تصويبها، إن لم يكن في الطبعة الأولى ففي الطباعات التي تليها، كما تسهم في التعريب بالاشتراك مع تلك المؤسسات، أو الاستقلال بتعريب طائفة من الكتب والأبحاث.

وأياً كان الأمر فلا يمكن للمعنيين أن يداوموا النظر في التراكيب والأساليب التي ينحيتها كثير من المعربين الذين يجهلون أدنى مبادئ العربية، ولا يسعهم إلا الامتناع والتأفف. ومع هذا فإن السيطرة على هذا السيل الجارف من التعريب لا يمكن أن يكون حاسماً. وتنقية اللغة، آية لغة، من هذه المظاهر تكاد تكون مستحيلة، ولكن الأمر ألا تترك الأمور على عوانها، كي تبلغ هذه الفوضى مداها، ولن يكون هذا المدى في صالح العربية ولا أهلها.

أمّا عن الموضوع فقد كنت تناولت التراكيب والأساليب الجديدة التي عرض لها المجمع حتى عام (١٩٨٤م)، في أطروحتي للدكتوراه، دون تمييز بين ما هو معرّب وما هو عربي مُحدّث؛ لأن طبيعة الدراسة لم تكن تحتاج هذا التقسيم، وقد عمدت في هذا البحث إلى تتبع أبرز الأساليب المعربة منذ نشأة المجمع إلى إصدار الجزء الرابع من سلسلة كتب "في أصول اللغة"، الصادر سنة (٢٠٠٤م) الذي يرصد نشاط مجمع اللغة في الأساليب والألفاظ. وأمل أن يسهم هذا البحث في شدّ الانتباه إلى حقل لم يستغلّ استغلاله المناسب - وإن كنا لا نؤيد (سنتكيفتش) في أنه مهمل تماماً^(١) - ألا هو التغيرات التي طرأت على الأسلوب العربي، ولا نقول التطور كما يقول بعض (الدارسين)؛ لثلا يفهم من كلمة "التطور" أن الأساليب المحدثة تتغير باتجاه الأفضل، كما صرّح بذلك بعض المستشرقين^(٢).

(١) سنتكيفتش، جاروسلاف، العربية الفصحى الحديثة، دار النمر للطباعة، القاهرة، ١٩٨٥: ٢٣٥.

(٢) نفسه: ٢٨٥.

والذي ينبغي أن أشير إليه ههنا استخدامي مصطلح "التعريب" لا الترجمة؛ لأن التعريب مصطلح أوسع وأشمل من الترجمة، فضلاً عن استخدام القدماء إياه على هذا الوجه.

والذي أرمي إليه من هذه الدراسة تتبُّع جهود المجمع في معالجة قضية الأساليب والتراكيب المعرّبة ذات الرابط، ومنهج في التعامل معها، وإشكالية الرابط من أكبر الإشكاليات التي تواجه المترجم أو المعرّب؛ إذ قد يحدث تعريبه بنية لغوية جديدة، فالرابط يشكل التركيب، بل هو الجسر الذي يشدّ أركانه ويكسبه دلالته. ومن هذا المنطلق تتبعت إشكالية تعريب أنماط من الروابط في قرارات لجنة الألفاظ والأساليب في مجمع اللغة في القاهرة، وقد بيّنت مركز الإشكال في ذلك التعريب، وما أفضى إليه؛ ذلك أن تحديد المفصل في التراكيب ذات الإشكال، والوقوف على الإشكالية في نقلها، كفيّل بأن توضع اليد على موطن الخلل في تلك التراكيب. وهي إشكالية لو توقّف عند الكثير منها أعضاء المجمع الذين اتبنت على أبحاثهم ومذكراتهم ومناقشاتهم قرارات لجنة الأساليب لكان للقرارات وجه آخر.

وقد وجدت إشكالية تعريب الرابط ذات وجهين؛ الأول تعريب الرابط من اللغة الأصلية، واستحداث تركيب لا عهد للعربية به. أمّا الوجه الآخر فهو استحداث رابط في اللغة العربية ليس موجوداً في التركيب المعرّب. وأياً كانت دواعي التعريب، فإن ضعف المعرّب، ووهن صلته بلغته العربية وراء الكثرة الكاثرة من التراكيب الغريبة، أو النادرة المعرّبة.

ومن الخلق بالإشارة ههنا إلى أن الناظر في خطط تخصص الترجمة في الجامعات، سواء في الدراسات الدنيا أو العليا، يخلص إلى أن ثمة تقنياً لهذا الضعف، ولبعد هؤلاء عن لغتهم؛ إذ تكاد هذه الخطط تخلو من موادّ العربية، إلا مواد قليلة، لا تطلعهم على شيء يُذكر من خصائص العربية، أكثر ممّا تطلع أيّ متخصص في غيرها. أمّا الإشكالية في تعريب الروابط فتتوزع بين روابط الجرّ، وهي أكثرها، حتى عدت أكثر من نصف التراكيب التي تتولّت، والوقوف عليها، يليها العطف، ثم الظرف.

• رابط الجرّ:

* "سارت المفاوضات خطوة خطوة":

* "سارت المفاوضات خطوة بخطوة":

* "نوقشت سياسة الخطوة خطوة":

عرضت لجنة الألفاظ والأساليب لهذا الأسلوب، وأجازت النمط الأول من قبيل الحال المؤول بالمشتق؛ أي سارت المفاوضات متتابعة، أو مرتبة، نحو قولهم: "ادخلوا رجلاً رجلاً؛ أي متتابعين. أمّا الثاني فتكون "خطوة" فيه حالاً، و"خطوة" المجرورة بعدها صفة لما قبلها؛ أي: خطوة متبوعة بخطوة، أو خطوة بعد خطوة، والباء بمعنى بعد. أمّا النمط الثالث: "الخطوة خطوة" فلا تقبل إلا بحملها على الأعداد المركبة، وتبني على فتح الجزئين، ولهذا تفضل اللجنة أن يقال: "الخطوة بخطوة"^(١).

وهذا الأسلوب بأنماطه معرب من قولهم: "step by step"، كما أشار إبراهيم أنيس (ت ١٩٧٧م)^(٢). وقرار اللجنة تبني في تخريجه هذا الأسلوب ما جاء في مذكرة علي النجدي ناصف (ت ١٩٨٢م)^(٣). وهو موفق إلى حدّ

(١) أمين، محمد شوقي، والترزي، إبراهيم، القرارات الجمعية في الألفاظ والأساليب (الدورة ٢٤): ١٦٦.

(٢) أمين، محمد شوقي، والترزي، إبراهيم، القرارات الجمعية في الألفاظ والأساليب: ١٦٦ (حاشية للقرار).

(٣) أمين، محمد شوقي، القرارات الجمعية: ١٦٦، صدر في الدورة (٢٤).

بعيد. على أن الجدير بالملاحظة ما جاء في القرار من تخريج "الباء"، في الأسلوب الثاني على معنى "بعد"، وهذا المعنى لم يذكره أحد - فيما اطلعت عليه - من معاني الباء^(١)، ولم يُشر القرار إلى فريدة هذا المعنى. غير أن ثمة معنى لـ "الباء" في هذا الأسلوب يمكن أن تحمل عليه، لم يتوقف عنده علي النجدي، ولا اللجنة التي أقرته، ألا وهو "المقابلة"، وتغدو الدلالة على هذا المعنى خطوة مقابل خطوة، أي تكون كل خطوة من الطرف الأول بعد تقدم يقابلها في الطرف الآخر، إنسانياً كان هذا الطرف أو غير ذلك. وهو وجه مقبول، يمكن أن تفضي إليه دلالة هذا الأسلوب.

* "أنا كوزير أحترم مهنتي":

* "أنا بوصفي معلماً أحترم مهنتي":

هذان تركيبان تناول المجمع كلاً منهما بصورة مستقلة، والتركيب الأول أثار جدلاً كبيراً بين أعضاء المجمع، ودعا محمد بهجة الأثري (ت ١٩٩٦م) إلى رده، وقال: "لسنا مكلفين تخريج كلام عامي يشيع على ألسنة الناس"^(٢). على الرغم من أن المثقفين هم الذين أدخلوه إلى الأساليب العربية. وأيد الأثري علي النجدي، وسعيد الأفغاني (ت ١٩٩٧م)^(٣). وقد قدم الأستاذ عبد الله كَنُون (ت ١٩٨٩م) بحثاً مستفيضاً استعرض فيه معاني الكاف عند النحويين، وأجاز في هذه الكاف أربعة وجوه: أن تدل على التعليل، أو تكون زائدة، أو تدل على التشبيه، واستند إلى هذا المعنى بقول أبي حيان في "البحر المحيط": "تقول العرب مثلك لا يفعل كذا، يريدون به المخاطب؛ لأنهم إذا نفوا الوصف عن مثل هذا الشخص كان نفياً عن الشخص، وهو من باب المبالغة"^(٤)، والرابع أن تكون اسماً بمعنى "مثل"، منصوباً على الحال^(٥). وقد رد المؤتمر بحث كَنُون إلى اللجنة، ولم يُجِزه.

وفي الدورة الثانية والأربعين، بعد أربع سنوات، قدم محمد رفعت فتح الله (ت ١٩٧٥م) الخبير بلجنة الأساليب مذكرة استعرض فيها مذكرة كَنُون، وانتهى إلى إجازة هذا الأسلوب على وجهين: أن تكون الكاف للتشبيه، وأن تكون زائدة. وهذان هما اللذان تبنتهما وأقرتهما اللجنة^(٦). وقد نقّب أعضاء المجمع الذين بحثوا في هذا التركيب في التراث اللغوي ليسوغوه. وعاد عباس حسن (ت ١٩٧٨م) بشواهد وأمثلة وقع عليها عند ابن الأثير (ت ٦٣٨هـ) في

(١) ينظر: الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى (٣٨٤هـ/٩٩٤م)، كتاب معاني الحروف، تحقيق عبد الفتاح شلبي، دار نهضة مصر، القاهرة: ٣٦. والهروي، علي بن محمد (ت ٤١٥هـ/١٠٢٥م)، الأزهية في علم الحروف، تحقيق عبد المعين الملوحي، ٢٨٣: ١٩٨١، المرادي، الحسن بن قاسم (٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، الجنى الداني، تحقيق فخر الدين قباوة وزميله، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٢: ٣٦. والمالقي، أحمد عبد النور (٧٠٢هـ/١٣٠٣م)، رصف المياني، تحقيق أحمد الخراط، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٥: ١٤٢، وابن هشام (ت ٧٦١هـ/١٣٦٠م)، عبد الله بن يوسف، معني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك ورفيقه، ١٩٨٥: ١٢٧، الرضي الأستراباذي، محمد بن الحسن، (ت ٦٨٦هـ/١٢٨٧م) شرح الكافية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٩٨٢: ٢٢٧/٢، أبو حيان، الارتشاف: ٤٢٦/٢، السيوطي، مع الهوامع: ٢/٣٣٥، حسن، عباس (ت ١٩٧٨م)، النحو الوافي، دار المعارف، ط ٣، ١٩٦٦: ٤٥٢/٢.

(٢) حجازي، مصطفى، في أصول اللغة (الحاشية): ١٨٧/٣.

(٣) حجازي، مصطفى، في أصول اللغة: ١٨٣/٣.

(٤) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، محمد بن يوسف، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٣: ٤٨٨/٧.

(٥) التريزي، إبراهيم، زملاؤه، محاضر جلسات الدورة (٣٧)، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٢، الكاف التمثيلية: ٦.

(٦) حجازي، مصطفى، في أصول اللغة: ١٨٧/٣، وقد صدر في الدورة (٤٢).

"المثل السائر"، في قوله^(١): " لأن لقيت فلاناً لتلقين به كالأسد، ولئن سألته لتسألن منه كالبحر"^(٢). وأين هذا الاستخدام من استخدام المحدثين؟ فهذا تشبيه خالص، ثمة الكثير من الشواهد عليه^(٣)

والأسلوب بادي التعريب، وتقوم إشكالية هذا التعريب على (as) بالتحديد، وفي الفرنسية ما يشبهها وهي " comme"، والبحث في غير هذه الطريق عبث. وزيادة الكاف نادرة، وشواهدا معزولة وغريبة، وسائر معاني الكاف بعيدة من هذا الأسلوب، ما خلا التشبيه، على معنى غير الذي ذهبت إليه المذكرات، ومن ثم قرار المجمع. وأما قول بعض الذين اعترضوا على إجازة هذا التعبير: أن القول "أنا كوزير" يفضي إلى أنه ليس وزيراً^(٤)، فهو لا يجاوز الوقوف عند الشكل الخارجي للتشبيه فيه. فهو ليس تشبيهاً خالصاً، إذ يقوم على المقام والمهنة والوظيفة التي ينطلق منها القائل، فالقول: "أنا كمعلم" أحترم واجبي؛ أي أنا في احترامي واجبي، أشبه أي معلم تسند إليه هذه المهمة، أو الوظيفة.

وتجلى هذا التركيب في صورة أخرى، وهي بوصفي وزيراً، وقد أفرد له المجمع قراراً خاصاً، عدّه من إضافة المصدر إلى فاعله، وحذف مفعوله؛ أي "بوصفي لنفسي وزيراً"، أو يكون من قبل إضافة المصدر إلى المفعول، والمحذوف هو الفاعل؛ أي "بوصف غيري إياي وزيراً، وتكون "وزيراً" حالاً على كلا الوجهين^(٥)، وهو تعريب للأسلوب نفسه، وإن كان النمط الأول أكثر انتشاراً.

* "مشى بصورة جيدة":

جاء في قرار اللجنة أن بعض النقاد يُخطئ قول بعض المعاصرين: "مشى بصورة جيدة"، أو "سار بشكل حسن"، ويرون أن الصواب فيه: "مشى مشياً جيداً"، أو "سار سيراً حسناً". وقد ذهبت إلى أن الأسلوب صحيح؛ لأنه يتضمن بياناً لهيئة الحدث أو صاحبه^(٦).

وكان هذا الأسلوب من الأساليب التي خطأتها مجلة "اللسان العربي" من قبل، في باب "قل ولا تقل" في العدد الثامن، وذهبت إلى أن الصواب فيه "مشى مشياً جيداً" و"سار سيراً حسناً"، باستعمال المفعول المطلق^(٧). وقد كانت اللجنة قد أضافت في القرار المرفوع إلى المؤتمر أن الجار والمجرور فيه في موضع الحال، أو وصف للمصدر، ورأى المؤتمر حذفها، وصدر القرار على ما جاء عليه^(٨).

والأسلوب ظاهر التعريب، والعربية تتوسّع في معنى الصورة كما جاء في التاج إذ قال: الصوْرَةُ بالضمّ: الشكْلُ والهيئَةُ والحقيقةُ والصفةُ جمع صوْرٍ بضمّ ففتح وصوْرٌ كعنب، وقد صوْرَةُ صورةٌ حسنَةٌ فتصوّرُ: تَشكّلُ.

(١) التريزي، إبراهيم، محاضر جلسات: ٣٦ الدورة (٣٧).

(٢) ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد (ت٦٣٨هـ/١٢٤٠م)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، ١٩٩٥: ١/ ٤٠٩.

(٣) ينظر: ابن جني، سر الصناعة: ٢٨٦/١، والمالقي، رصف المياني: ١٩٥، والمرادي، الجنى الداني: ٨٢، وأبا حيان، الارتشاف: ٤٣٩/٢، والسبوطي، الهمع: ٣٦٤/٢.

(٤) وقد قال بذلك أحمد عمار، في "محاضر جلسات الدورة (٤٢): ٤٨٥.

(٥) أمين، محمد شوقي، والتريزي، إبراهيم، القرارات الجمعية في الألفاظ والأساليب: ١٥٨.

(٦) أمين، محمد شوقي، والتريزي، إبراهيم، القرارات الجمعية في الألفاظ والأساليب: ١٢٤ (الدورة ٣٩).

(٧) المرجع السابق: ١٢٤.

(٨) المرجع السابق: ١٢٤.

وَتُسْتَعْمَلُ الصُّورَةُ بِمَعْنَى النُّوعِ وَالصَّفَةِ وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: "أَتَانِي اللَّيْلَةُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ"^(١)، وَتَرَدُّ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ عَلَى ظَاهِرِهَا وَعَلَى مَعْنَى حَقِيقَةِ الشَّيْءِ وَهَيْئَتِهِ وَعَلَى مَعْنَى صِفَتِهِ يُقَالُ: صُورَةُ الْفِعْلِ كَذَا وَكَذَا أَي هَيْئَتُهُ وَصُورَةُ الْأَمْرِ كَذَا أَي صِفَتُهُ^(٢).

وعلى الرغم من ذلك فهم لم يصفوا فيها الحركة ولا نوع الهيئة، وهذا من عمل المعرّبين، ولعله من نقلهم (good way) أو (good manner)، فوصف المشي والركض واللعب والجلوس بالصور الجيدة، لا تقع عليه في كلام القدماء. واللجنة تشير في إجازتها إلى تخريجين، على أنّ دلالة شبه الجملة في هذا الأسلوب تشير إلى الحال، وهذه دلالة لا يَنَازَعُ فيها تقدير وصف المصدر؛ أي المفعول المطلق، وهي وإن لم تكن خطأ فهي مُتَكَلِّفَةٌ، لم يقصد إليها المتحدث، ولا تخطر ببال السامع، والدلالة معقودة بينهما، وهو استخدام لا مانع منه، ولا موجب لتخطئته.

* "عاش الأحداث":

أقرت لجنة الألفاظ والأساليب هذا التركيب، وقد أشارت إلى أن التعبير مما يتداوله المعاصرون، وأنه يقال لمن عاصر الأحداث سواء شارك فيها أم لم يشارك، وقد وجهوا "عاش" فيه على أنها ضُمّنت معنى عاصر، أو أنّ الكلام على حذف مضاف، وهو "زمن"^(٣). غير أنّ مؤتمر المجمع عدل قرار اللجنة، واكتفى بتوجيهه على تضمين "عاش" معنى "لا يَسَ".^(٤)

وقد قدم الشيخ عطية الصوالحي (ت ١٩٧٤م) مذكرة ذهب فيها إلى أن هذا الأسلوب من النوع الذي ناب فيه المصدر عن ظرف الزمان المضاف، إذ إن أصل التركيب "عاش فلان زمن الأحداث" فحذف المضاف، وهو الظرف، وأُنبِئَ المضافُ إليه وهو "الأحداث" فانتصب انتصابه. وهو يحشد لرأيه هذا ما قاله أكابر النحاة في هذه الإجابة أمثال سيويوه (١٨٠هـ) والمبرد (٢٨٦هـ) والرضي (٦٨٦هـ) وابن مالك (٦٧٢هـ)^(٥).

والإشكالية في أنّ "عاش" وما اشتق منه لازم، وقد تعدى بنفسه في هذا الأسلوب، وهو كما يبدو أسلوب معرّب، من نحو قولهم: "he live his own life"، وفي الفرنسية شبيه به وهو: "il a vecu les evenments". وقرار المؤتمر موفق إلى حد بعيد، وتخريجه على التضمين يتمثل دلالاته الحقيقية. وقد أحسن إذ ردّ ما ذهب إليه الصوالحي من تقديره "زمن" محذوفاً؛ ولئن احتمله مذهب كثير من النحويين فتقديره في هذا التركيب ظاهر التكلف.

على أنّ الذي يجدر الالتفات إليه أنّ الفاعل في هذا الأسلوب يغلب عليه المشاركة الفاعلة في الأحداث المعنوية في سياقها، وربما الاندماج والاستمتاع أيضاً، وليس مجرد وجوده إبانها، وإن كان الأسلوب يحتمل مثل هذا المعنى. ولعل هذه الدلالة لم تكن غائبة عن معجم هانز فير "معجم اللغة العربية المعاصرة"، حينما جعل من ترجمة "عاش حياته" استمتع بحياته "to enjoy one's life"^(٦).

(١) جاء في سنن الترمذي، في باب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، سورة "ص".

(٢) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، تاج العروس، تحقيق عبد الكريم العزباوي، وزارة الإعلام، الكويت: (صور)، وينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر بيروت: (صور).

(٣) أمين، محمد شوقي، كتاب الألفاظ والأساليب (حاشية القرار): ٨٥/١.

(٤) أمين، محمد شوقي، وحجازي، مصطفى، كتاب الألفاظ والأساليب: ٨٥/١ (الدورة ٣٩).

(٥) أمين، محمد شوقي، كتاب الألفاظ والأساليب: ٨٦/١.

(٦) فير، هانز، معجم اللغة العربية المعاصرة، (عيش): ٦٦١.

ولا عجب أن يتسرّب هذا الأسلوب في كلام شاعر ونائر اختلط بالغرب، على الرغم من أنه وسُم بالفصاحة، وتحريها، وهو علي الجارم (١٩٤٩م) إذ يقول^(١):

لَا يُبَالِي الْأَنْوَاءَ مِنْ بَعْدَمَا عَا
شَ حَيَاةَ كَثِيرَةِ الْأَنْوَاءِ

* " لعب دوراً ":

عرضت اللجنة لما شاع عند المعاصرين، من قولهم: " لعب دوراً"، وقد ذهبت في تخريجه إلى وجهين:
الأول: أن يجعل "دوراً" مفعولاً مطلقاً، وذكرت أنه من المعلوم أن المفعول المطلق يصف الفعل من أي وجه كان، وكلمة "دوراً" في اللغة العربية المعاصرة تعني مهمة أو نصيباً، وهو وصف للفعل.
والثاني: أن قائل هذه العبارة لا يريد بالفعل معناه الحقيقي، الذي يدل لفظه عليه، بل يريد معنى " أذى " ونحوه، أمّا لفظ "دور" فمصدر "دار"، ويراد به في العبارة معنى المهمة أو القدر أو النصيب؛ وعلى هذا يكون الفعل متعدياً، و"دوراً" مفعولاً به^(٢).

وكانت لجنة الألفاظ والأساليب قد قدمت هذا الأسلوب فيما قدمت إلى مؤتمر المجمع في الدورة السابقة لإقراره، ولكن المؤتمر رده محتجاً بأنه غير سائغ في مقامات الجِدِّ، ولا في أمور العقيدة، ومسائل الدين.^(٣) غير أن اللجنة عادت إلى البحث فيه مرة أخرى، وقدم الأستاذ علي النجدي ناصف مذكرة فيه، ذكر في مستهلها أن التطور سنة من سنن الله تعالى، كما أنه سنة من سننه في سائر الأحياء، يدخل اللفظ فيباعد بينه وبين معناه الأصلي، وقد يقطع صلته به، حتى ما يخطر منه شيء ببال قائله وسامعه جميعاً، وضرب عدداً من الأمثلة ليدل على ذلك. وذهب إلى إجازة هذا الأسلوب، وذكر في دفاعه عنه أنه لا بغض منه أن المسرح منشؤه، فقد يكون في المسرح الجِدِّ، والصدق، وانتهى إلى أن "لعب" حمل معنى " أذى "، ودعا إلى إجازته^(٤).

وما ذهب إليه علي النجدي صحيح إلى حد بعيد، و" لعب " ضُمّن معنى "أذى" في هذا الأسلوب، لذلك جاز أن يتعدى، والدلالة تؤكد أن "دوراً" مفعول به، وما ذهب إليه قرار اللجنة من إجازة تخريجه على وجه آخر هو المفعول المطلق تكلف لا موجب له، فلئن أجازته صناعة النحو، فالمعنى يُقْصيه.

والأسلوب معرّب من الإنجليزية على الأغلب من قولهم: "to play a part or role"، وثمة نظير له بالفرنسية وهو: "il a joué un rôle". وهو يشير إلى مشاركة الفاعل بالحدث مشاركة ذات ميزة خاصة. ولئن كان هذا الأسلوب هبة اللغة المسرحية في الأصل فإن الإنجليزية نفسها توسعت في استخدامه توسعاً كبيراً، ما انعكس على ترجمته إلى العربية، ولا يضير العربية أن تتسع له. ونجد هذا الأسلوب يتسرب مبكراً في شعر بعض الأدياء الذين تأثروا بالغرب، إذ يقول إلياس أبو شبكة (ت ١٩٤٧م)، وهو شاعر ومترجم^(٥):

كَأَنَّكَ أَرْسَلْتَ تَلْعَبُ دَوْرًا
جَمِيلًا بِقَلْبِي يَا مُرْسَلُ

ويقول نسيب عريضة (ت ١٩٤٦م) وهو من أدياء المهجر^(٦):

(١) الجارم، علي، (١٣٦٨هـ/١٩٤٩م) ديوان، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٨٦: ١١٧/١.

(٢) محمد شوقي، كتاب الألفاظ والأساليب: ١٤٣/٢ (الدورة ٤٥).

(٣) محاضر جلسات المجمع: ٥١٠، وينظر: أمين، محمد شوقي، كتاب الألفاظ والأساليب (حاشية): ١٤٣/٢.

(٤) المرجع السابق: ١٤٥/٢.

(٥) أبو شبكة، إلياس، (١٣٦٦هـ/١٩٤٧م) ديوانه، دار العودة، بيروت، ١٩٩٩.

(٦) عريضة، نسيب، (ت ١٣٦٥هـ/١٩٤٦هـ) ديوانه.

كُلُّهُم يَلْعَبُ دَوْرًا غيرَ ما يَخْفِي الضَّمِيرَ

* "يلعب الكرة":

وقد أجازت اللجنة هذا التركيب، وخرجته على وجهين: أن تكون "الكرة" مفعولاً مطلقاً؛ إذ هي أداة الفعل، والأداة انتزعت في الانتصاب عن المصدر، والأصل "لعب لعباً بالكرة، فحذف المصدر وأقيمت الأداة مقامه. والوجه الثاني أن يكون من باب الحذف والإيصال؛ حذف حرف الجرّ، ثم وصل الفعل بالأداة، فقيل: يلعب الكرة^(١).

وقدم علي النجدي مذكرة في هذا التركيب، وذكر ما يتردد في خاطر أنه غير صحيح؛ ذلك أن "لعب" فعل متعدّد، والصحيح "يلعب بالكرة"، وهو يذهب إلى أنه صحيح، وأنه من باب المفعول المطلق، ثابت فيه الأداة عن المصدر، ويعرض لآراء بعض النحويين يؤكد ما ذهب إليه^(٢). وقد تبنت اللجنة هذا المذهب، وزادت عليه باب الحذف والإيصال.

والتركيب معرّب، من قولهم: "he is playing football"، وتخريج الأستاذ علي النجدي الذي تبناه المجمع ظاهر التمثل، ولا يخطر ببال المستخدم، ومسلك الأداة التي تنوب عن المفعول المطلق غير هذا المسلك. وأمّا الوجه الذي أضافته اللجنة ولم تعقب؛ إذ جعلته من باب الحذف والإيصال، فالمسألة ليست بهذا اليسر وهذه العجالة؛ فهذه قضية قوامها السماع، وإلا غدت اللغة فوضى.

وهذا تركيب أكثر ما يشيع بين العامة، ولا نقع عليه إلا في لغة الشارع، وأرى أن اللجنة تتكبت جادة الصواب في العرض لهذا التركيب وإساعته، وهو يختلف عن "لعب دوراً"، لشهرة هذا وكثرة استخدامه من قبل الكتاب والمثقفين من وجه، وإمكانية تخريجه على وجه مقبول من جهة أخرى. وههنا يمكننا أن نقول لسنا مكلفين بتسوية كل ما يليق به رجل الشارع، وإسباغ لبوس اللغة الفصيحة عليه.

* "تقرير عن مشكلة التعليم الأساسي":

* "حلقه إذاعية عن النقد الأدبي":

* "محاضرة عن تربية الأسماك":

عرضت اللجنة لهذا النمط من التراكيب، وجاء في قرارها: "ويلاحظ أن "عن" في هذه التعبيرات غير دالة على المجاوزة، التي هي المعنى الأصلي للحرف في ظاهره، وقد استبان للجنة أن "عن" في هذه الاستعمالات ونحوها تدل على معنى الاتصال والتعلق والارتباط، وقد نبّه فقهاء اللغة إلى أن دلالة "عن" الأصلية على المجاوزة تتضمن معنى الإلصاق، أو السببية أو الظرفية؛ بمعنى "في"، وقد فسرت بذلك شواهد من المنثور والمنظوم، في فصيح الكلام. فلهذا ترى اللجنة إجازة أمثال هذه الاستعمالات"^(٣).

وقرار اللجنة هذا مبني على المذكرة المستفيضة التي قدمها محمد شوقي أمين في هذا التركيب. وقد توقف عند بيت زهير (٣ق.هـ)^(٤):

وما الحرب إلا ما علمتم ودقتم وما هو عنها بالحديث المرجم

(١) أمين، محمد شوقي، كتاب الألفاظ والأساليب: ٩٤/٢ (الدورة ٤٤).

(٢) أمين، محمد شوقي، كتاب الألفاظ والأساليب: ٩٥/٢.

(٣) أمين، محمد شوقي، والترزي، إبراهيم، القرارات الجمعية في الألفاظ والأساليب: ٢٠٧ (الدورة ٤٦).

(٤) زهير بن أبي سلمى، ديوانه: ١٩.

وعرض لبعض شراحه، وذكر قول ثعلب: "وما هو عنها، يريد وما علمكم عنها بالحديث الذي يُرْمى فيه بالظنون". ونقل مثل هذا عن ابن الأنباري (٣٢٧هـ)، ونقل عن الشنتمري (٤٧٦هـ) قوله: "وما هو عنها" كناية عن العلم؛ يريد وما علمكم بالحرب- و"عن" بدل من الباء، ويعلق محمد شوقي: "أي أنها للإلصاق". كما يعرض لما جاء في حديث الإفك: "يا عائشة إنه بلغني عنك كذا وكذا"، وما ورد في حديث ابن أبي: "يا رسول الله، بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي، فيما بلغك عنه". وبعد أن يعرض عدداً من الشواهد والأمثلة ينتهي إلى قوله: "فإذا تدبرنا استعمال "عن" في هذه النصوص ألفينا دلالة "عن" فيها تضاهي دلالاته في محدث الاستعمال، من حيث ارتباط ما قبل "عن" بما بعده، في درجة سواء"^(١)، ويستعرض ما جاء عن النحاة في معنى "عن"، وما يمكن أن تحتمله من التخرجات، وينتهي إلى ما تبنته اللجنة من قرار.

بادئاً "عن" في هذا الأسلوب تعريب لـ"about"، وفي الفرنسية "sur" ولم تسعف المعرب عربيته إلا بإحلال "عن" محلها. وثمة تعريب آخر حرفي لها، ولعله أشيع من "عن"، ألا وهو "حول" فالكلمة الإنجليزية- وهي على الأغلب التي وراء انتشاره - ظرف، وهي وتعني ههنا أن البحث أو النقاش في المذكور أياً كان سيشمله بصورة عامة. والذي لم ينتبه إليه محمد شوقي أن الشواهد والأمثلة القديمة التي حشدها ليسوع الأسلوب المحدث تتصل اتصالاً وثيقاً بنقل الحديث، أو الكلام، وهي على هذا لم تكن محل استغراب، بينما نجد المحدثين يتوسعون توسعاً كبيراً في استخدام هذا الأسلوب، فيشمل المحاضرة عن كذا، والمناقشة والاجتماع، والمؤتمر والبحث وغير ذلك. ولا شك في أن هذه مفاهيم محدثة. والمعنى الذي يتمثل دلالة "عن" في هذه الأساليب هو "في"؛ أي أن الموضوع والمحور الذي تدور حوله المحاضرة أو الاجتماع أو المؤتمر في الشأن المذكور.

أمّا ما جاء به قرار اللجنة، بناء على مذكرة محمد شوقي فمُلبس، وكان "عن" تختص من سائر حروف الجر بتعلق ارتباط ما قبلها بما بعدها، فضلاً عن أن المعاني التي يحشدها لـ"عن" تُغيب دلالاتها في هذا الأسلوب.

* محكمة استئناف طنطا:

* كلية آداب الزقازيق:

عرضت لجنة الألفاظ والأساليب في مجمع القاهرة لهذا الأسلوب، مما يجري فيه اسمان منكران متضايقان إلى مضاف إليه معرفة؛ للتعريف والتحديد. وقد رأت اللجنة أن إجازة هذه الإضافة على أنها من باب إضافة الأول إلى الثاني، والثاني إلى الأخير على معنى "في" أو "اللام"^(٢).

وقد قدم محمد شوقي أمين مذكرة، ذكر فيها أن تتابع الإضافات لا تأباه العربية، نحو "كتاب نحو البصرة" و"كتاب أحكام الفقه". وقد اعترف بأن بعض أمثلة المعاصرين، يستعصي على التأويل والتخريج، نحو "محكمة استئناف طنطا"، فكان الاسمين المتضايقين واحداً، وقد وجه الإضافة على معنى "في" أو "اللام"، ويكون التقدير محكمة الاستئناف في طنطا أو لطنطا"^(٣).

وهذا النمط من الإضافة واضح التعريب، والشواهد والأمثلة التي استند إليها القرار في إجازة الأساليب المحدثه، تختلف عن بنية هذه الأنماط. وأصل استخدامه مشفوعاً بشرطة بين الاسمين المقترنين، نحو "محكمة الاستئناف-

(١) أمين، محمد شوقي، كتاب الألفاظ والأساليب: ١٩٦/٢.

(٢) أمين، محمد شوقي، والترزي، إبراهيم، مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاماً (١٩٣٤-١٩٨٤)، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨٤: ١٥٥.

(٣) المرجع السابق.

طنطا"، و"كلية الآداب - الزقازيق"، ولعل إشكالية هذا الأسلوب تتبدى في نطقه؛ حيث لا تظهر الشَّرْطَة، ومن هنا جاءت فرادته.

على أن الإضافة نسبة تقييدية تصح بأدنى ملابس^(١)، جاء في قوله تعالى: ^(٢) "كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشيةً أو ضحاها"، وجاء في شعر الحُطَيْبَة (٤٥هـ) ^(٣):

حتى أَتَخْتُ قَلْوصِي في ديارِكُم بخيرٍ مَن بَحْتَدِي نَعْلًا وحافِيها

وقد أحكم العلاقة بين هذه المتضائفات ظهور المعنى، فاستُسيغَ إضافة العشيّة إلى الضحى، والحافي إلى النعل، والسياق الذي تسلكه الملابس، هو الذي يجلي دلالتها.

على أن هذه الشواهد والأمثلة لم تكن وراء هذا النمط من الإضافة عند المحدثين، بل التعريب، ودرجته أيضاً في باب الخطأ اللغوي، كما يرى د. إسماعيل عمار، وأن صوابه "كلية الآداب في الزقازيق" ومحكمة الآداب في طنطا" لا تعطي المعنى المراد من هذا الأسلوب^(٤)، لأن تصويب د. عمار له لا يدل على معناه الحقيقي. فكلية آداب القاهرة، تعني كلية آداب جامعة القاهرة، بينما التعبير الآخر كلية الآداب في القاهرة، تحمل معنى مختلفاً، وهي بعد ذلك في الجامعة، وفي القاهرة وفي مصر. وأقرب من كل ذلك أن تثبت الشرطية، فينتفي الإشكال، ومن أثبتته على الوجه الذي جاء في قرار اللجنة كان جائزاً، فهذا النمط من الإضافة يظهر تبعية المضاف الكاملة للمضاف إليه.

* "صاروخ أرض جو":

* "صاروخ جو أرض":

* "صاروخ الأرض جو":

تناولت اللجنة هذه الأنماط من هذا الأسلوب، وقد أقرت بأنه "يخفى وجه ضبطه وتخريجه"، وانتهت إلى القرار الذي وافق عليه المجمع، وهو أن المعنى في هذا الأسلوب أنه صاروخ ينطلق من الأرض إلى الجو، أو من الجو إلى الأرض.. الخ، والركن الثاني من القرار أن هذا الأسلوب من أساليب الإضافة، والكلمة الأولى وهي "صاروخ" تُضبط حسب موقعها في الجملة وتضاف إلى الكلمة التي تليها والتي تليها تضاف إلى التي تليها، فيكون التركيب - مثلاً - على النحو الآتي: "هذا صاروخ أرض جو"^(٥).

وقد انبنى هذا القرار على المذكرة التي قدمها علي النجدي ناصف؛ إذ خرّج أسلوب "صاروخ أرض جو" على العطف بالواو، أي صاروخ الأرض والجو، وقد استشهد على هذا المذهب بقول الفرزدق (١١٠هـ) ^(٦):

إن الرزية لا رزيةً مثلها فقدانٌ مثلٌ مُحمّدٍ ومُحمّدٍ

وأجاز أن يكون من قبيل المركب الإضافي، وتكون الإضافة فيه للتخصيص، كما يمكن أن يكون من قبيل التركيب المزجي على الوجه الذي يعرب فيه الجزء الأول حسب العوامل، والجزء الثاني مجروراً بالإضافة. أمّا

(١) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (ت ٩١١/١٥٠٥م)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١١/٢: ١١.

(٢) الفلزات: ٣٦.

(٣) الحطّيبَة، جُروْل بن أوس (ت ٤٥هـ/٦٦٥م)، ديوانه، شرح ابن السكيت، تحقيق مصطفى النّماّس، ط ١٩٨٩: ٢٠٣.

(٤) عمار، محمود إسماعيل، الاستعمالات الخاطئة في حروف الجرّ، دار عالم الكتب، الرياض، ط ١٩٩٨: ١٠٥٤.

(٥) أمين، محمد شوقي، والترزي، إبراهيم، القرارات الجمعية في الألفاظ والأساليب، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٨٩: ١٦٧ (دورة ٤٣).

(٦) الفرزدق، همام بن غالب (ت ١١٠هـ/٧٢٨م)، ديوانه، تحقيق علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٩٨٧: ١٤٦.

الأسلوب الثالث "صاروخ الأرض جو" بتعريف الأرض، فقد خطأه وقال: الصواب فيه أن يقال: "صاروخ الأرض والجو"، وتبنى الكلمتان فيه على الفتح كما تبنى الأعداد المركبة^(١). وفي أثناء المناقشات رفض إبراهيم أنيس تقدير واو العطف^(٢). وذهب عبد السلام هارون (ت ١٩٨٨م) إلى أن في هذا الأسلوب محذوفاً هو "مساره"؛ أي مساره من أرض إلى جو.

ولم يتكَبَّ المجمع جادة الصواب في تفسيره معنى التركيب، فـ"صاروخ أرض جو"، منطلق من الأرض إلى الجو، و"جو أرض"، من الجو إلى الأرض، وهكذا. كما أصاب في رد ما ذهب إليه علي النجدي، في تقديره وأو محذوفة، فلا معنى واضحاً لـ"صاروخ الأرض والجو" واستشهاده بقول الفرزدق في غير محله، وتقدير عبد السلام هارون فيه تمحل. أما أسلوب "الأرض جو"، فغير مستخدم، أو غير شائع على الأقل، ولو استخدم لما اختلف عن الأسلوب الأول من حيث التأويل.

ونرى هنا كيف أفضت الشرطية التي لم يتنبه إليها أعضاء اللجنة إلى هذه التأويلات كلها، فهذا الأسلوب بأنماطه مشفوع بشرطية، وأصله "صاروخ أرض - جو، وهو تعريب لـ: "Surface- To- Air missile" والأسلوب كما تبدو دلالاته يمكن أن يكون من قبيل التركيب المزجي كما ذهب إليه علي النجدي. ولكنّه تركيب قائم على بناء الجزئين على السكون، وهما في محل جر مضاف إليه، وقد سبق للمجمع أن أجاز تسكين الأعلام المتتابعة من قبل في مثل "محمد علي حسن"^(٣). وهذا يحاكي استخدامه، والإضافة المباشرة غير مستساغة ولم تسمع، وليسعهم في هذا الأسلوب ما وسعهم في غيره. أمّا عن ميدانه فنجد أن مجاله الصحافة والأخبار العسكرية، والدوريات المعنية بالشؤون العسكرية، ويؤدي غرضاً أقرب إلى المصطلح.

* "مباحثات روما برلين":

* "قطار مصر الإسكندرية":

* "طيران مصر السودان":

وقد أقرّ المجمع هذه الأساليب على تخريجين، فالنمط الأول ممّا فيه جملة مكونة من عامل ومعمول لا يحتاج إلى تأويل، إذ يعرب الاسم الثاني مفعولاً. أمّا النمط الثاني والثالث ففي تخريجها وجهان؛ الأول على تقدير حرف عطف، والثاني أن الاسمين المقترنين متضايقان^(٤).

وقد قدم محمد حسن عبد العزيز مذكرة، أقر فيها بأن هذه الأساليب من آثار اللغات الأجنبية، كما أقر بأن الناطقين بها يسكنون أواخر الكلمتين إثارةً للسهولة، وتجنباً لصعوبة إعرابها. وهو يرى أن تُعرب الكلمة الأولى من هذا الأسلوب بحسب موقعها الإعرابي، وتعطف الكلمة الثانية عليها، وكان التقدير، مثلاً: سيصل قطار القاهرة الإسكندرية". ويلتمس عند النحاة ما يؤيد حذف الواو العاطفة^(٥).

(١) أمين، محمد شوقي، كتاب الألفاظ والأساليب، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٨٥، ٦٧/٢.

(٢) التريزي، إبراهيم، ورفاقه، محاضر جلسات الدورة (٤٣)، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٩: ٣٤٧.

(٣) أمين/ محمد شوقي: مجموعة القرارات: ٣٦.

(٤) حجازي، مصطفى، وعبد الباقي ضاحي، في أصول اللغة، أخرجه مصطفى حجازي، وضاحي عبد الباقي، الهيئة العامة، لشؤون المطابع الأميرية، ط١، القاهرة: ١٦٣/٣ (الدورة ٤٦).

(٥) مصطفى، حجازي، في أصول اللغة: ١٦٣/٣.

وقد ذهب هذا المذهب شوقي ضيف(ت٢٠٠٥م) وقدم مذكرة حشد فيها الأدلة من القرآن الكريم والشعر على حذف حرف العطف^(١). والمسألة ليست في جواز حذف حرف العطف، وعلى الرغم من أن بعض النحاة وعلى رأسهم ابن جني عده من الشاذ الذي لا يقاس عليه، وذكر ضعفه في القياس، فضلاً عن عدم استعماله، وندرته^(٢) نجد أن اللغة لا تأباه، وذهب هذا المذهب السهيلي(ت٥٨٣هـ) وابن الصائغ(ت٦٨٠هـ)^(٣)، والكلام على رده أصله المنطق لا طبيعة اللغة، إذ رأوا أن حرف العطف ضرب من الاختصار، وحذفه يفضي إلى اختصار المختصر، والشواهد تؤكد حذف حرف العطف، وإن كان قليلاً، والقرينة قوام ذلك.

وذهب محمد رفعت إلى أن الأساليب التي تتضمن مصادر واقعة على مفعولاتها لا تحتاج إلى تأويل؛ إذ يعرب فيها الاسم الثاني مفعولاً به، فقولهم: "مباحثات روما برلين؛ أي باحثت روما برلين"^(٤). ورأى عبد العزيز السيد تسكين الاسمين المقترنين في هذا الأسلوب^(٥).

ولكن المسألة هي: هل يُحمل هذا التركيب في النمط الأول على المفعولية، وفي الثاني على تقدير عاطف أو تضافي الاسمين؟ إن هذه تأويلات لا تجتمع في الكف. فهذه التراكيب معربة من باب واحد، ونرى أن تجاهل تأصيله سبب في هذا الإشكال، وهماي الشرطة التي لم يُشر إليها تقضي إلى هذا الاضطراب مرة أخرى، وإذا أردنا أن نرجع إلى الأسلوب كما هو في لغته، فكتابته على النحو الآتي: "مباحثات روما - برلين" و"قطار مصر - إسكندرية" وهكذا، وهذه الأساليب لا تدخل اللغة العالية، وتؤدي غرضاً محدداً.

وإذا أردنا أن نتمثل استخدامه فهو يقوم على تسكين الاسمين المقترنين، ويعرب الاسم الأول حسب موقعه من الإعراب، ويضاف إليهما، ويكونان حينئذ أقرب إلى التركيب المزجي، كما الأسلوب السابق. وإشكالية الدلالة ينهض بها السياق، ف: "قطار مصر - الإسكندرية"، يدل على أن هذا القطار يعمل بين هاتين المدينتين، وكذا "طيران مصر - السودان". و"مباحثات روما - برلين"، تدل على لقاء زعمي البلدين، ومناقشتها أموراً سياسية، و"بنك القاهرة - عمان"، يدل على مجال عمل هذا البنك أو تمويله أو غير ذلك، وهكذا. وغياب الشرطة بين الاسمين المقترنين عند الكتابة عن تناول هذا الأسلوب - وهي التي يعنى بها تخريجه - أفضت إلى هذه التأويلات مرة أخرى.

* أحسن من ذي قيل:

عرضت للجنة لقولهم "فلان أحسن من ذي قيل"، وذهبت إلى أن "ذي" يمكن أن تكون اسم موصول معرباً على لغة طيبي، والكلام على حذف مضاف، والتقدير: "حال فلان أحسن من التي قيل"، وعلى هذا فهو جائز في الاستعمال، وإن كان الصحيح أن يقال فيه: "فلان أحسن منه قيل"^(٦).

(١) مصطفى، حجازي، في أصول اللغة: ١٦٥/٣.

(٢) ابن جني، أبو الفتح(٣٩٢هـ/١٠٠٢م)، سر صناعة العربية، تحقيق حسن هنداري، دار القلم دمشق، ١٩٩٣: ٦٣٥/٢، والخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت: ٢٨٠/٢.

(٣) ينظر: السيوطي، الهمع: ١٩٣/٣، والصياني، محمد بن علي(ت١٢٠٦هـ/١٧٩٢م)، حاشية الصياني، على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧: ١٧٣/٣. و أبو حيان، محمد بن يوسف(٧٤٥هـ/١٣٤٤م)، ارتشاف الضرب، تحقيق مصطفى النماص، ط١، ١٩٨٩: ١٦١/٢.

(٤) حجازي، مصطفى، في أصول اللغة: ١٦١/٣.

(٥) حجازي، مصطفى، في أصول اللغة: ١٦٣/٣.

(٦) أمين، محمد شوقي، والترزي، إبراهيم، القرارات الجمعية في الألفاظ والأساليب: ١٤٢(الدورة ٤١).

وقد قدم علي النجدي ناصف مذكرة وسماها بـ "من ذي قبل"، عرض فيه لما أثر عن العرب "أفعل ذلك لعشر من ذي قبل" بفتح الباء، وقولهم: "لا أكلمك لعشر من ذي قبل"، واللام تعني "إلى" و"قبل" تعني المستقبل. وهو يرى أن الأسلوب المعاصر مؤد من ذلك القديم، وبالتحديد من تصحيف "قبل"؛ إذ نُطِقت ساكنة الباء، توهماً أنها ظرف زمان. ويجيز الأسلوب المحدث على تقدير مضاف؛ يكون هو المسند إليه، ويكون التقدير: "حاله أحسن من ذي قبل"، و"أو تغير حاله عن ذي قبل". أما "ذي" عنده فإما أن تكون للإشارة، فيكون المعنى "حاله أحسن من حاله هذه قبل"، أو "تغير حاله عن حاله هذه قبل"، فيكون "قبل" متعلقاً بمحذوف يعرب حالاً، وتحتل أن تكون الطائفة الموصولة، فيكون المعنى: "حاله أحسن من حاله التي قبل"، ويقضي نظم الأسلوب أن يلاحظ قبل "ذي" في الحالين مضاف مماثل للمضاف المسند إليه؛ ليتحقق معنى القبلية.

وذكر محمد شوقي أمين أن "ذي" في هذا الأسلوب، يمكن أن تكون زائدة، واستند إلى كلام ابن الإعرابي، من أن العرب تصل كلامها بـ "ذا" و"ذي"، وتمثل لزيادتها ببيت المتنبي (٣٥٤هـ):

وكم ذا بمصر من المضحكات ولكنّه ضحكٌ كالنكاح

على الرغم من أن الذي عند المتنبي "ماذا بمصر من المضحكات"^(١)، ولا وجود لهذه الرواية.

وإذا ما توقفنا عند ما ذهب إليه علي النجدي من أن هذا الأسلوب المحدث ناشئ من الأسلوب القديم، وقد صُحِّت فيه "قبل" إلى "قبل"، لم تسعنا موافقته، وأين هذا من ذلك؟ قال الأزهري (٣٧٠هـ): "وتقول: لا أكلمك إلى عشر من ذي قبل وقيل، فمعنى قيل إلى عشر مما يشاهده من الأيام، ومن قبل إلى عشر تستقبلنا"^(٢). ونرى في الأسلوب المحدث أن "قبل" تدل على الماضي، ولا وجه للتصحيف ولا التحريف، هذا من باب، ومن باب آخر نرى الأستاذ علي النجدي يعالج هذه المقولة التي ينقلها الأزهري وكأنها شائعة ذائعة على ألسنة الناس، ولا يعود بها من بطون الكتب إلا أمثاله من العلماء المحققين، أما تخريج "ذي" على أنها اسم إشارة فليس أحسن حالاً، وتكلفه ظاهر.

ولعل من أشد الأشياء غرابة أن يعمد الأستاذ النجدي - واللجنة من بعده- إلى توجيه "ذي" على أنها "ذو" الطائفة، وهو يعرف ندرتها وغرابتها وقلة شواهدا عند أهل اللغة الفصحاء، فكيف بمن لم يسمع عنها؟ ولا نشك في أن مستخدم هذا الأسلوب لا تخطر بباله "ذو الطائفة" هذه.

والسؤال الخليق بالإجابة هنا من أين انسلت "ذي" هذه وتسنمت هذا الموقع، في هذا الأسلوب، فشاعت على ألسنة الكتاب وأقلامهم، حتى دفعت بأعضاء المجمع إلى المنافحة لتخريجها، ولو على وجه نادر؟ ولعل الإجابة تدعو إلى الدهشة.

إن أسلوب "أحسن من ذي قبل" معرب عن الإنجليزية، وأغلب الظن أن الذي أوحى للمعرب الأول بحشو "ذي" هذه بلا وجه، إنما هو جرس "than"، إذ إن أصل هذا الأسلوب هو: "he is better than before"، فأرحت "than" هذه للمعرب- والذي لم يلتفت إلى أنه لا وجه لها - بـ "ذي"، وهي التي عيى الأعضاء بتخريجها. والأقرب أن يسقطها المستخدم لهذا الأسلوب ما وجد إلى ذلك سبيلاً. على الرغم من أن استخدامها يمكنه أن يستند إلى قول ابن

(١) المتنبي، أحمد بن الحسين، ديوانه، شرح العكبري (ت٦١٦هـ/١٢١٩م)، تحقيق مصطفى السقا، دار المعرفة، بيروت: ٤١/١، والبرقوقي، عبد الرحمن، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٩: ١٦٧/١.

(٢) الأزهري، محمد بن أحمد (٣٧٠هـ/٩٨١م)، تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار المصرية للتأليف والنشر: ١٦٣/٩، وينظر: ابن جريد، محمد بن الحسن (٣٢١هـ/٩٣٣م)، جمهرة اللغة، تحقيق رمزي بعلبكي، ط١، ١٩٨٧: ٣٢١/١.

الأعرابي المذكور في زيادة "ذا" وذي" فيما ورد عن العرب، ولكن هذا نادر، ويقتصر على نصوص قليلة، يستحسن تجنبها وعدم القياس عليها.

* "عدد الطلاب بما فيهم الغائبون أربعون طالباً":

عرضت اللجنة لهذا الأسلوب، وانتهت إلى أنه أسلوب صحيح، معناه: "عَدَدُ الطَّلَابِ مَعَ شَيْءٍ مُتَضَمَّنٍ فِيهِمْ هُوَ الْغَائِبُونَ أَوْ هُمُ الْغَائِبُونَ"^(١).

وقد قدم الشيخ عطية الصوالحي- عضو المجمع- مذكرة صوّب فيها هذا التركيب، وعدّ "ما" فيه نكرة ناقصة موصوفة بمتعلق الجار والمجرور بعدها، وأن "الغائبون" بدل منها على القطع، بإضمار مبتدأ، وتقدير الأسلوب على مذهبه "عدد طلاب الفصل مع شيء موجود فيه هم الغائبون أربعون طالباً"^(٢)، وانتهى إلى أنه جارٍ على أسلوب عربي قويم، مستشهدا بقوله تعالى: "قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكُمُ النَّارُ"^(٣).

وقد ردّ مؤتمر المجمع قرار اللجنة في قبوله، وكان إبراهيم أنيس من أشد المؤيدين لهذا الأسلوب، واعترض على قرار المؤتمر في رده، حتى قال: "ما شعرت أنّ مجعنا سجان للعربية، وإنما شعرت أنّ رسالته الحفاظ على اللغة وتنميتها في البنية والألفاظ والأساليب، واللجنة تنظر فيما يقال ولا تختار تركيباً وأساليب، وأرجو ألا نتصور أنّ الكتاب يتعمدون الخطأ في اللغة وإفسادها، وإنما يستلهمون برهافة حسهم هذه التعابير"^(٤). وهذا حماس منه رحمه الله، فالأسلوب ركيك، ودخل إلى العربية من قبل ضعف المعريين، لا من قبل رهافة حسهم. وأمّا ما ذهب إليه الشيخ الصوالحي من الاستشهاد فهو بعيد، وإسباغ اللبوس على هذا الأسلوب أوسع من دلالته، وأين ركافة هذا الأسلوب من بلاغة الآية القرآنية؟ فتأويله ظاهر التكلّف.

والأسلوب معرّب ومركز الإشكال فيه "including"، ومعناها "المتضمّن"، وفي الفرنسية ما يشبهها وهي "don't"، ولم يسعف المعرّب إلا شبه الجملة "بما فيهم"؛ ليحلّها موضع الكلمة المذكورة، وينشئ هذه الإشكالية. وعلى ركافة هذا الأسلوب، فإنه يمكن أن يسوغ على أن "ما" فيه اسم موصول، وهذا في الفرنسية أبين منه في الإنجليزية. واستخدام "ما" للعاقل وغيره ثابت في العربية، قال السيوطي (٩١١هـ)^(٥): "زعم قوم منهم ابن دُرُسْتُوَيْه (ت٣٤٧هـ) وأبو عبيدة (ت٢١٠هـ) ومكي (ت٤٣٧هـ) وابن خروف (ت٦١٠هـ) وقوعها على أحاد من يعقل مطلقاً". ولعل الذي يقوي هذا الوجه تعاقب استخدام "من" مع "ما" فيه، وإن لم تتطرق اللجنة إلى هذا الأسلوب، نحو قولهم: "عدد الطلاب بمن فيهم الغائبون".

على أنه مع هذا أسلوب ركيك، ويجدر بمن يتحرّى الفصاحة في النطق أو الكتابة أن يتجنبه، وأن يعمد إلى تركيب ينأى عن هذا الإشكال. ويمكن أن يقترح تركيب يقوم مقام الأسلوب المذكور، ولا يخالف العربية وسمتها، وهو على سبيل المثال "عدد الطلاب حاضرين وغائبين أربعون طالباً"، ولا يصلح هذا التركيب في الأنماط المختلفة المستخدمة من هذا الأسلوب، وللمعريين أن يعبروا عن كل أسلوب من هذا النمط بتركيب يناسبه.

(١) أمين، محمد شوقي، والترزي، إبراهيم، القرارات الجمعية في الألفاظ والأساليب: ٢٨١، صدر في الجلسة (٣٠) من مؤتمر الدورة (٤٠) ورده المؤتمر في الجلسة (١٠).

(٢) مذكور، إبراهيم، محاضر جلسات الدورة (٤٠)، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٧٥: ٥٤١.

(٣) الحج: ٧٢.

(٤) الخطيب، عدنان، العيد الذهبي لمجمع اللغة العربية، دار الفكر، ط١، ١٩٨٦: ٢٦٠.

(٥) السيوطي، همع الهوامع: ٢٩٨/١.

* "أسألك عما إذا كنت تعرف هذا أو لا":

* "لا أدري فيما إذا كنت تعرف هذا أو لا":

وقد تناولت اللجنة هذا الأسلوب مع بعض الأساليب التي ترد فيها أفعال القلوب أو ما يشبهها، وقد وليها "ما إذا"، أو "عما إذا"، وقد حملت اللجنة "ما" في هذين الأسلوبين على وجهين، أن تكون موصولة، أو أن تكون نكرة بمعنى شيء، و"إذا" ظرف متعلق بمحذوف صلة لـ"ما" على الأول، وصفة لها على الثاني^(١).

وأول من لفت الأنظار إلى هذا النمط من الأساليب الشيخ إبراهيم اليازجي (ت ١٨٧١م) في "لغة الجرائد"، وقال: "وهو من التعريب الحرفي عن الإفرنجية"^(٢). وقد قدم الشيخ عطية الصوالحي مذكرة في تحقيق قولهم: "أريد أن أعرف ما إذا كان لي حصة في هذه الصفقة"، استشهد في إساغته بالحديث الشريف الذي عرض له ابن مالك، وقد خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها، قائلاً: "إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت عليّ غضبي"^(٣)، وقد ذهب ابن مالك إلى أن "إذا" هنا مفعول.

وخرَج الصوالحي هذا الأسلوب على وجهين، فعلى رأي ابن مالك "تكون" ما قبل "إذا" زائدة، و"إذا" اسم بمعنى زمن، مفعول لـ"أعرف" والتقدير: "أريد معرفة زمن يكون لي فيه حصة من هذه الصفقة. وعلى رأي الجمهور، الذين يرون أن "إذا" لا تخرج عن الظرفية تكون "ما" اسماً موصولاً، أو نكرة موصوفة، و"إذا" ظرف غير مضمّن معنى الشرط، أو شرط محذوف الجواب، فتعلّق بمحذوف صفة أو صلة، ويكون التقدير على هذا "أريد معرفة الذي يلزمني، أو معرفة شيء يلزمني حين يكون لي حصة من هذه الصفقة. وأردف قائلاً^(٤): "ويُخرَج على رأي الجمهور أيضاً قولهم: "أسأل عما إذا كان أمر فلان كذا أو كذا".

وقد جرى نقاش بين أعضاء المجمع، أخذ بطرفيه إبراهيم اللبان (ت ١٩٨٠هـ)، وعباس حسن؛ رأى فيه اللبان أن هذه أساليب ضعيفة لا ينبغي الاعتراف بها، بينما صححها عباس حسن، وأقرّ بأنه يستخدمها^(٥). وانتهى النقاش إلى موافقة مجلس المجمع على استخدام هذه الأساليب، غير أن المؤتمر رفضها، ولم يصدر المجمع قراراً بإجازتها^(٦).

وهذا الأسلوب وما جاء على نمطه معرّب، و"إذا" أو "عما إذا" أو "فيما إذا" معربة فيه من "whether"، والإشكال الذي أحدثه هذا التعريب تعليق أفعال القلوب أو ما يشبهها بـ"إذا" أو "عما إذا"، أو بـ"إن" أحياناً، ولا عهد للعربية بهذا التعليق، وأشهر المعلقات "لام الابتداء"، و"لام القسم"، و"حروف النفي: ما، لا، وبعض صور الاستفهام" وإن وأخواتها، ما عدا "أن". وهذا الذي دفع المؤتمر إلى ردها.

وإذا وقفنا على هذه الأساليب لم يسعنا موافقة الشيخ الصوالحي على تخريجه "إذا" على أنها اسم بمعنى "زمن"، إذ لا تستوي ودلالة الكثير منها، فلا يمكن أن يذهب القارئ أو السامع إلى أن محور السؤال في الأسلوب الذي ذكره الصوالحي عن الزمن. والتخريج الذي طرحته اللجنة يحتمل من التأويلات ما يتيه فيها سامع هذه الأساليب وقارئها.

(١) أمين، محمد شوقي، والترزي، إبراهيم، القرارات الجمعية في الألفاظ والأساليب: ٢٨٢.

(٢) إبراهيم، اليازجي (ت ١٩٠٦م)، لغة الجرائد، دار مارون عبود، ط١، ١٩٨٤: ٦٨.

(٣) ينظر صحيح البخاري: باب النكاح "غيره النساء ووجدن".

(٤) أمين، محمد شوقي، كتاب الألفاظ والأساليب: ١٢٧.

(٥) مذكور، إبراهيم، محاضر جلسات الدورة (٤٠): ٤٩٠.

(٦) المرجع السابق.

على أن ردّ هذه الأساليب ليس من الحكمة، ولا نبالغ إذا قلنا أنها أصبحت بعد أكثر من ثلاثين عاماً على القرار^(١) من معالم البلاغة-على ركاكتها- عند الصحفيين والمذيعين على وجه الخصوص، ونحن في سعة من ردها ما كان إلى إساعتها سبيل. وإذا أردنا أن نتمثل دلالة هذه الأساليب، فسيتبدى لنا أن "ما" فيها زائدة، ودالتها على ذلك بيّنة. ويكون ما بعدها حسب ما يقتضيه الإعراب. أمّا الأسلوب الذي تسبق "ما" فيه "عن" - وثمة أسلوب مشابه تسبقها فيه "في" - فالإشكالية فيه أن "ما" الزائدة الكافية لا تدخل إلا على "من، والباء، والكاف، ورب"، ونجدها هنا تدخل على "عن" و"في" وتزيل اختصاصهما، وهذا على ما فيه أقوم من تخريجات بعيدة من دلالتها.

• رابط العطف:

* حتى أنت يا رفيق الجهاد:

عرضت اللجنة لهذا الأسلوب، وأشارت إلى أنه يؤخذ عليه أن "حتى" لا يؤثر دخولها على ضمير رفع منفصل، أو اسم مرفوع في المشهور من قواعد اللغة، ولم يرد قبلها كلام فنكون غاية له. وقد أجازت هذا الأسلوب تبعاً لتعليق ابن هشام(ت ٧٦١هـ) على بيت الفرزدق^(٢):

فوا عجباً حتى كليب تسبني كأن أباهما نهشل أو مجاشع

إذ قدرَ جملة؛ ليكون ما بعد حتى غاية لها؛ أي فواعبجاً يسبني الناس، حتى كليب تسبني^(٣).

وقد ذكر أحمد الحوفي(ت ١٩٨٣م) أنه لما ترجمت مسرحية "يوليوس قيصر" إلى العربية، جاء فيها قوله لصديقه: "حتى أنت يا بروتس"، وذكر تخطئة اللغويين آنذاك هذا الأسلوب، وقالوا: الصحيح "وأنت يا بروتس". وقد ردّ الحوفي هذه التخطئة، وذكر أن من مواضع "حتى" الابتداء، ولا فرق بين هذا الأسلوب واستخدام القدماء^(٤). وذكر محمد شوقي أمين فرادة هذا الاستخدام لـ "حتى"، وأقر بأنه لم يعثر عليه عند القدماء، إلا ما تصيّد ابن هشام في المغني من قول الفرزدق، وهو يقطع بسلامة الاستشهاد، ويجيز هذا الأسلوب حملاً عليه^(٥).

وفي أثناء المناقشات ردّ عبد الرزاق محيي الدين(ت ١٩٨٤م) هذا الأسلوب، وذكر للفرق بين استخدام القدماء لـ "حتى" والأسلوب المحدث، وردّ على الحوفي ومحمد شوقي قائلًا: "إن الشواهد التي أوردها من كتب النحو والأدب، جاءت فيها "حتى" غاية لفعل محذوف، دلّ عليه فعل موجود، وليس في الأمثلة - التي نحن في صددها- فعل موجود يدل على فعل محذوف، بل إن الموجود غير صالح لتأليف جملة، فضلاً عن أنه صالح للدلالة على جملة محذوفة. وأنكر عمر فروخ (ت ١٩٨٧م) أن يكون الأسلوب معرباً من الأدب الإنجليزي، وذكر أنه عثر عليه كثيراً في أشعار أبي نواس(١٩٨هـ)، فضلاً عن استخدامه كثيراً في الأدب الأندلسي^(٦).

وموطن الإشكال في هذا الأسلوب أن "حتى" لم يؤثّر دخولها على ضمير رفع منفصل، أو اسم مرفوع فيما أثار من الاستخدامات اللغوية؛ فهو أسلوب معرب، كما ذكر الحوفي، غير أننا لا نوافق في إسباغه عليه لبوس الأساليب القديمة. ونؤيد ما ذهب إليه محمد شوقي من فرادة ملحظ ابن هشام، في استشهاده ببيت الفرزدق.

(١) ردّ الأسلوب في "الدورة الأربعين" المنعقدة سنة ١٩٧٤.

(٢) الفرزدق، ديوانه: ٣٦١.

(٣) أمين، محمد شوقي، والترزي، إبراهيم، القرارات الجمعية في الألفاظ والأساليب: ٢٢١ (الدورة ٤٧).

(٤) أمين، محمد شوقي، كتاب الألفاظ والأساليب: ٢٣٨/٢.

(٥) المرجع السابق: ٢٣٩.

(٦) محاضر جلسات الدورة(٤٧): ٧٦٧.

وإذا توقفتنا بادئاً عند تخريج ابن هشام بيت الفرزدق، فإننا نقر له تسجيله هذا النمط الفريد من استخدام "حتى" عند القدماء. غير أننا لا نوافق في حتمية تقدير محذوف قبل "حتى"، على أنه جزء من بنية التركيب، فهذه صناعة نحوية، وإن كانت البنية الدلالية توجب هذا المحذوف الذي يقره السياق. وبيت الفرزدق على فرادته يختلف عن الأسلوب المعرب، فالأساليب المحدثة يلي "حتى" فيها ضمير رفع منفصل يكون خبره محذوفاً على الأغلب، وليس اسماً ظاهراً كما رأينا عند الفرزدق.

وأما ما ذكره عمر فروخ من وقوعه على هذه الظاهرة في شعر أبي نواس (ت١٩٨هـ)، وفي الأدب الأندلسي فقد طفت في ديوان أبي نواس وتناولت عملين مشهورين من أعمال أدباء الأندلس، من عصرين مختلفين؛ الأول هو "العقد الفريد" لابن عبد ربه (ت٣٢٨هـ)، والثاني "نوح الطيب من غصن الأندلس الرطيب" للمقري (ت٧٥٨هـ)، وما وقعت إلا على استخدام "حتى إذا" في عشرات الأمثلة، وأقل من ذلك استخدام "حتى كأنه" و"حتى إنه" وهذا يختلف عن الأسلوب المذكور كما نراه في استخدام المحدثين اختلافاً بيناً. على أنني وقعت على استخدام نادر لمثاليين من هذا الأسلوب في بيت واحد كما نراه عند المحدثين، وهو استخدام فريد لم أقع على غيره، وهو ما رواه المقري لـ"محمد بن عمر المليكي" (ت٧٤٠هـ/١٣٤٠م)، الذي نعته بكتاب الخلافة، وهو قوله^(١):

وكم قد سألتُ الريحَ شوقاً إليكم فما حنَّ مسراها عليّ ولا ألوى
فيا ريحَ حتى أنتِ ممّن يغازُ بي وبأ نجدُ حتى أنتِ تهوى الذي أهوى

أما عن الشواهد فقد وقعت على شاهد نادر يضم إلى ما سجله ابن هشام عند الفرزدق، وهو قول رؤبة (ت٤٥٥هـ):^(٢)

حتى عظامي من وراء الأثواب عوجُ دِقَاقٍ من تحني الأحناب

و"حتى أنت" في الأسلوب المذكور معربة عن تركيب "even you"، وفي الفرنسية "meme toi". و"حتى" فيه حرف ابتداء لا رابط، وما سجله المقري من هذا الاستخدام نادر ومعزول، وليس بحال وراء الاستخدام المحدث. ولئن كان الشاهدان النادران المزويان عن رؤبة والفرزدق اندرجا تحت هذا الأسلوب فهما يفارقانه من حيث ما يلي "حتى" عند المحدثين، فهي ابتدائية تنصدر التركيب، وتدل على الغاية، والمحذوف قبلها مفهوم من السياق وليس جزءاً من التركيب، والغالب فيها أن يليها جملة اسمية يتصدرها ضمير مرفوع، والخبر مقدر -على الأغلب - حسب ما يقتضيه السياق.

* الهزيمة اليوم تهدد إسرائيل، يعترف بذلك حتى المتعاملون معها:

* لم يقرأ حتى الصحف:

* لم ينجح حتى في أن يكون عضواً في مجلس القرية:

عرضت اللجنة لهذه التعبيرات المحدثة، وانتهت إلى اعتبار "حتى" في الأساليب المذكورة عاطفة، والمعطوف عليه محذوف مفهوم من المقام^(٣).

(١) المقري، محمد بن أحمد (ت٧٥٨هـ/١٣٥٧م)، نوح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٦٨: ٢٤٠/٦.

(٢) ابن العجاج رؤبة (ت٤٥٥هـ/٧٦٢م)، ديوانه، تحقيق ولیم بن الوردي، دار الأفاق الجديدة، ط١، ١٩٧٩: ٥.

(٣) حجازي، مصطفى، في أصول اللغة: ١٣٠ (الدورة ٤٣).

وقد قدم محمد حسن عبد العزيز مذكرتين في هذا الأسلوب، ذهب في الأولى إلى أن "حتى" فيه ليست حرف عطف ولا حرف ابتداء، فليس ثمة ما يسبقها يصلح أن يكون معطوفاً عليه، وعلى هذا فينبغي أن يتعلق ما قبل "حتى" بما بعدها، فيعرب ما بعدها في المثال الأول فاعلاً، ومفعولاً في الثاني، وهكذا. و"حتى" على هذا حرف يعبر عن الغاية، ولا يبنى على وجودها أي أثر في الإعراب^(١). على أن محمد حسن يتنازع القول بالعطف، ويبدو ذلك جلياً في المذكرة الأخرى، وعرض للنحاة الذين أجازوا حذف المعطوف عليه، وقد أجاز تخريج "حتى" على العطف أيضاً في هذا الأسلوب^(٢).

وقدم شوقي ضيف مذكرة ذهب فيها إلى أن "حتى" عاطفة في هذا الأسلوب، وأن ما بعد "حتى" معطوف على محذوف مماثل، وأجاز حذف المعطوف عليه لدلالة السياق عليه^(٣). وردّ عباس حسن حذف المعطوف عليه، وقال سعيد الأفغاني: "حتى في هذه التعبيرات كالزائدة الدودية، السلامة في بترها. أمّا عمر فروخ فذهب إلى أن "حتى" في هذا الأسلوب معربة عن الكلمة الإنجليزية "even"، وليس من عمل المجمع أن يقبل ما يقوله رجل الشارع"^(٤). والإشكالية ليست في حذف المعطوف عليه، فتلك مسألة أثبتتها النحاة، بناء على ما تحتمله طبيعة اللغة، كما جاء عند الرضي^(٥)، وابن عصفور^(٦) (٦٦٩هـ) و^(٧) والأشموني^(٨) (٩٠٠هـ)، حتى عباس حسن الذي أنكره في المناقشات، نجده يثبت في "النحو الوافي"^(٩)، والسياق فيصل في هذه القضية، لا الصناعة النحوية. على أن الرأي الأقرب إلى طبيعة هذا الأسلوب هو ما ذهب إليه محمد حسن ولم يثبت قرار اللجنة، وهو أن "حتى" حرف يعبر عن الغاية ولا يبنى عليه أي أثر إعرابي.

والأسلوب محدث معرب عن الإنجليزية أولاً، وإن كان في الفرنسية ما يشبهه، ولا نوافق عمر فروخ على أن رجل الشارع هو الذي أدخله إلى العربية، بل المعربون، واستساغهم بعدهم الكتاب والمتقفون، فدرج على ألسنتهم وأفلامهم، وليس من اليسير بتر "حتى" من هذا الأسلوب كما ذهب إلى ذلك الأفغاني.

على أن الذهاب إلى أن "حتى" عاطفة في الأسلوب المذكور ليس خطأ، فهو وجه مقبول، غير أنه ههنا أقرب إلى أن يكون صنعة نحوية لا دلالية. وإلا فهل قولنا: "الهزيمة اليوم تهدد إسرائيل، يعترف بذلك حتى المتعاطفون معها"، تساوي: يعترف بذلك العالم حتى المتعاطفون معها، إن هذا التركيب الأخير يغض من مركزية للدلالة لـ"المتعاطفين"، ويخفت بريقه. وواقع هذا الأسلوب يرجح أن أصله: يعترف بذلك المتعاطفون معها، ثم دخلت "حتى" لتعبر عن الغاية والاستقصاء، كما هو مفهوم من السياق، ولا يبنى على وجودها أي أثر إعرابي، وهي لا شك رابط ذو دلالة هامة، ولكن ليس من قبيل العطف، بل يعبر عن الغاية، وهذا أيسر من التكلف والتأويل.

(١) حجازي، مصطفى، في أصول اللغة: ١٣٢/٣.

(٢) المرجع السابق: ١٣٦.

(٣) المرجع السابق: ١٣٤.

(٤) التريزي، إبراهيم، محاضر جلسات المجلس في الدورة (٤٣): ٣٨٣. وحجازي، مصطفى، أصول اللغة: ١٣١/٣.

(٥) الرضي، شرح الكافية: ٢٦١/١.

(٦) ابن عصفور، علي بن مؤمن (٦٦٩هـ/١٢٧١م)، شرح جمل الزجاجي، تحقيق فواز الشعار، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، لبنان، ١٩٩٨: ٢١٤/١.

(٧) الصبان، حاشية الصبان: ١٧٢/٣.

(٨) عباس، حسن، النحو الوافي: ٦٢٢/٣.

* "لم ولن أصنع ذلك" :

* "لا ولن أصنع ذلك" :

وقد عرضت اللجنة لما يشيع من هذا الأسلوب عند المحدثين. وقد أجازته من باب تنازع العاملين معمولاً واحداً، أخذاً برأي البصريين، الذي يجعل العمل في المعمول للعامل الثاني، مع السعة في تطبيق ذلك على الحروف^(١).

وقد قدم خبير لجنة الأساليب محمد حسن عبد العزيز مذكرة إلى اللجنة دعا فيها إلى تسويغ هذا الأسلوب؛ وذكر أنه من آثار الأساليب الأجنبية، ومن قولهم بالإنجليزية: "I didn't and will not write to him"، ويقال في ترجمته: "لم ولن أكتب إليه. كما يقال أيضاً: "He doesn't and will not write to me"، ويقال في ترجمته: "لا ولن يكتب لي". وقد سوّغ من قبيل الحذف من الجملة الأولى ما هو موجود في الجملة الثانية، أو من قبيل عطف الحرف على الحرف^(٢).

وذهب شوقي ضيف في مذكرة أخرى إلى صعوبة التأويل في مذهب محمد حسن، وسوّغ على أنه من باب التنازع، أخذاً برأي البصريين في (عمال الثاني)^(٣)، وقد أيده علي النجدي ناصف ومصطفى عرفة^(٤). وأكرر تمام حسان تعاطف الحروف^(٥)، كما رد عبد السلام هارون القول بالتنازع، وعدّ أحمد الحوفي إجازته مجازة للعامية في انحدارها^(٦). وأقرّ بعد أن انتهت اللجنة إلى الموافقة على إساغته، وجعله من باب التنازع.

والقول بالتنازع لا يتمثل حقيقة هذا الأسلوب، ومسألة التنازع من أكثر المسائل النحوية إشكالاً واضطراباً، وهذا فيما أتفق على التنازع فيه، فكيف نزيد فوق هذا الخلاف خلافاً جديداً، هو التنازع بين الحروف؟ وكذا القول بتعاطف الحروف، فعطف الحرف على الحرف غريب؛ ذلك أن الحرف يقتدر إلى مفهوم التشريك^(٧).

وهذا الأسلوب دخيل على العربية، وإجازته ليست انحداراً للعامية، فالكتاب والمُتَقَوِّن هم الذي نشره على ألسنتهم وأقلامهم، والعامية لا تعرفه. وهو أسلوب لا وجه للتنازع فيه، ولا لتعاطف الحروف، بل هو من أساليب العطف التي تفيد التوكيد؛ عطف الجمل لا الحروف، وقوامه أداة نفي هي في الأغلب "لم" أو "لا" وتدل "لم" على ما مضى من الزمان، و"لا" على الحاضر، وحرف عطف يليه "لن" التي تدل على المستقبل.

أما دلالاته فتأكيد ديمومة موقف مستخدمه تجاه قضية معينة وإصراره عليه. ومدخول حرفي النفي "لم" و"لن" محذوف بقدره ما بعد "لن". وثمة أسلوب يشبهه - وإن كان أقل استخداماً - لم يعرض له المجمع، وهو نحو قولهم: اعتاد الذهاب من وإلى الجامعة، وهو من الباب نفسه، وإن اختلف الإعراب.

(١) حجازي، مصطفى، في أصول اللغة: ١٥٦/٣ (الدورة ٤٧).

(٢) حجازي، مصطفى، في أصول اللغة: ١٥٧/٣.

(٣) حجازي، مصطفى، في أصول اللغة: ١٩٥/٣.

(٤) محاضر جلسات الدورة (٤٧): ٤١١.

(٥) في أصول اللغة: ١٥٦/٣ (الحاشية).

(٦) عبد الباقي، ضاحي، ورفاقه، محاضر جلسات الدورة (٤٧)، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨٣: ٤١١.

(٧) ابن هشام، مغني اللبيب: ٨٥.

* "مدير ومحرر المجمع":

* "مكان وموعد الحفل":

عرضت للجنة لهذا النمط من الأساليب التي يستخدمها المحدثون، مما يجيء فيه الفصل بين المتضايين بالعطف، وذكرت أن ثمة شواهد كثيرة وردت على هذه الظاهرة من فصيح الكلام العربي، وانتهت إلى أنه لا حرج من استخدام هذه الأسلوب^(١).

وقدم محمد شوقي أمين بحثاً في الفصل بين المتضايين، عرض فيه لبعض الشواهد الشعرية والنثرية عند القدماء، ودعا إلى إجازة هذا الأسلوب تخفيفاً على الكتاب^(٢). كما قدم محمد حسن عبد العزيز مذكرة رجح فيها أن عزوف القدماء عن استخدامه يعود لما نقل عن أئمة اللغويين من المنع^(٣). على أن الظاهر أن العزوف عن استخدام هذا الأسلوب، ليس لمنع الأئمة فحسب، بل لأن الفصل بين المتضايين يحمل شيئاً من اللبس. وقد عده سيوييه قبيحاً، ومحمولاً على الضرورة، واستشهد بقول الفرزدق^(٤):

يا مَنْ رأى عارضاً أسراً به
بين ذراعي وجبهة الأسد

ونقل الفراء (٢٠٧هـ)، قول العرب: "قطع الله الغداة يد رجل من قاله"، وإن قال: وإنما يجوز هذا في الشينين بصطحبان، كاليد والرجل^(٥). وما لحظه الفراء صحيح، لأن هذا الأسلوب مظنة اللبس، ولذلك نرى الشواهد القليلة متلازمة الأجزاء المضافة.

على أن هذا الاستخدام عند القدماء ليس هو نفسه وراء انتشار هذا النمط من العطف أو الإضافة عند المحدثين؛ لأنه قليل، ويكاد يكون مقصوراً على لغة خاصة هي لغة الشعر، ولم يكن من سمت الكتاب وأساليبهم؛ فالأسلوب الذي شاع عند المحدثين مُعَرَّب، ومن النماذج التي ترجمت من الإنجليزية^(٦) بالتحديد، وقد تُرجم -على سبيل- المثال عنوان الكتاب المعروف لـ (E.W Lane) (ت ١٨٧٦م) "the manners and customs of modern Egyptians" بـ "عادات وأخلاق المصريين المحدثين". وفي الفرنسية أيضاً ما يشبهه في قولهم: "lieu at date" "مكان الحفل وموعده". وعلى الرغم من أن القرار والمذكرات ناقشت هذا الأسلوب تحت باب الإضافة نجد أن التعريب الحرفي وإثبات "الوار العاطفة" في موقعها نفسه من التركيب المعرب كان وراء الإشكال فيه، وكان الأصل أن يقال: "عادات المصريين المحدثين وأخلاقهم"، ونحو ذلك.

وقد توسع الكتاب في استخدام هذا الأسلوب، والذي أذهب إليه أن المسألة ليست من باب الفصل بين المتضايين بالعطف، لا عند القدماء ولا عند المحدثين، بل الاسمان مضافان إلى الظاهر، كما ذهب إلى ذلك الفراء من قبل^(٧)، والذي أضافه المحدثون أنهم توسعوا بفعل التعريب في هذا النمط من العطف أو الإضافة توسعاً كبيراً.

(١) أمين، مجموعة القرارات: ١٥٦ (الدورة ٤٩).

(٢) المرجع السابق، الدورة: "٤٩".

(٣) المرجع السابق.

(٤) سيوييه، الكتاب: ١/١٨٠، ٢/٢٨٠.

(٥) الفراء، يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ/٨٢٢م)، معاني القرآن، تحقيق علي النجدي، زملاؤه، دار السرور: ٢/٣٢٢.

(٦) ينظر: فشر، فولفد يترش، دراسات في العربية "لغة الكتابة العربية في الوقت الحاضر"، لـ "اشتيفان فيد"، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٥: ١٤٨.

(٧) الصبان، حاشية الصبان "شرح الأشموني: ٢/٤١٦.

• رابط الظرف:

* حضر حوالي عشرين طالباً:

* بدأ الحفل حوالي الساعة السابعة مساءً:

أشارت اللجنة إلى أن بعض النقاد يخطئون استخدام "حوالي" في هذه الأساليب، ويقولون إن الصواب فيها أن تستخدم "زهاء" أو "تحو"؛ ذلك أن "حوالي" ظرف غير متصرف، ولا يستعمل إلا في المكان. وانتهت إلى: إجازة استخدام حوالي في غير المكان، أما تخريجها فقد أحالت القارئ على المذكرات المقدمة في هذا الأسلوب^(١). وأول المذكرات للشيخ عطية الصوالحي، وذهب فيها إلى أن "حوالي" لا تصلح أن تكون فاعلاً ولا مبتدأ. كما أشار إلى أنه لا يجوز الذهاب إلى حذف الفاعل في هذا الأسلوب، فالنحاة مجمعون على عدم حذفه. وانتهى إلى أن "حوالي" استعملت فيه مجازاً على الإضافة الاعتبارية؛ لأنها في الأصل ظرف للمكان الحسي. أما تخريجها فعلى الحال، والفاعل أو المبتدأ ضمير مستتر يدل عليه العدد^(٢).

ومالت لجنة الألفاظ والأساليب إلى مسألة حذف الفاعل، وطلبت من محرر اللجنة فتحي جمعة أن يجد لذلك مساعداً في آراء العلماء، فقدم مذكرة وسمها بـ"حوالي ومشكلاتها"، تتبع فيها آراء النحاة، وانتهى إلى أن القول بحذف الفاعل مردود، لم يسلم به أكثر النحاة، وحل الإشكال أن تُعدَّ "حوالي" في هذا الأسلوب "فاعلاً"^(٣).

وقد ردَّ محمد شوقي أمين ما ذهب إليه فتحي جمعة، فأجاز أن يكون الفاعل ههنا محذوفاً، بناء على رأي فريق من النحاة على رأسهم الكسائي (ت ١٨٩هـ)، كما أجاز وجهاً آخر، وهو أن تكون "حوالي" فاعلاً، قياساً على إجازة بعض النحويين وقوع الظرف المنصوب غير المتصرف موقع الرفع في النيابة عن الفاعل، كما يجوز أن يكون خبراً^(٤).

بادئاً أصحاب المعجمات متفقون على أن "حوالي" ظرف مكان غير متصرف^(٥)، وهي مُتَّاة، قال الخليل (١٧٠هـ): "تقول: حوالي الدار كأنهما في الأصل حوالان، كقولك جانبيين، فأسقطت النون وأضيفت"^(٦). وذكر أبو حيان (٧٤٥هـ) من الظروف عادمة التصرف "حول وحوال، وحولى، وأحوالى... وقال العرب: "حواليك الناس وأحوالك"^(٧). وذكر في "الهمع" في باب الظروف "ما عُدَّ فيه التصرف فلم يخرج عن الظرفية أصلاً.. قال تعالى: "فَلَمَّا أَضَاعَتْ مَا حَوْلَهُ"^(٨)، وقال عليه السلام: "حوالينا ولا علينا"^(٩).

والذي لم يُشير إليه أصحاب المذكرات أن "حوالي" في هذا الأسلوب معربة عن "about"، أو "around"، وفي الفرنسية ما يشبهها وهي "vers". وقد سلكها المعربون في أساليب لم يستخدمها القدماء، أو جمهورهم على الأقل،

(١) أمين، محمد شوقي، والترزي، إبراهيم، القرارات الجمعية في الألفاظ والأساليب: ١٢٧ (الدورة ٤٠).

(٢) أمين، محمد شوقي، كتاب الألفاظ والأساليب: ١٠٣/١.

(٣) أمين، محمد شوقي، كتاب الألفاظ والأساليب: ١٠٧/١.

(٤) أمين، محمد شوقي، كتاب الألفاظ والأساليب: ١٠٣.

(٥) ينظر على سبيل المثال (حول) في: التهذيب، والمحكم، واللسان، والقاموس، والتاج، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد.

(٦) الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ/٧٨٦م)، معجم العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الهلال: ٢٩٨/٣، وينظر: سيويه، أبو بشر عمرو بن قنبر، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٩١: ٣٥١/١، ٤١٢.

(٧) أبو حيان، ارتشاف الضرب: ٢٦٩/٢.

(٨) سورة البقرة: ١٧.

(٩) السيوطي، الهمع: ٢١٦/٢. والحديث في صحيح البخاري كتاب الجمعة باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة.

وقد دفع هذا التعريب "حوالي" إلى جانب من المجاز. فحضر حوالي الساعة السابعة، أو حوالي أربعين طالباً، تجسد فيه العدد كتلة، ثم أحاط به التوقع من حوله، فهو حواليه، سواء أكان هذا التوقع للزمان أو العدد.

أما ما جاءت به المذكرات من حذف الفاعل، فمسألة تزيد الأمر تعقيداً، وقد رده جلّ النحاة، وهو محل خلاف لا ينتهي. أما تخريج "حوالي" على أنها فاعل أو مبتدأ، فلا يتفق ودلائلها، ولا يمكن أن تكون مسنداً، فدلائلها على الظرفية بادية. والذي ذهب إليه عطية الصوالحي من أن الفاعل أو المبتدأ يدل عليه لفظ العدد، يتمثل دلالة هذا الأسلوب بشكل كبير، وهو بعيد من التكلف.

ومن أهم مواطن الإشكال في هذا الأسلوب استخدام "حوالي" في الزمان، نحو: "بدأ الحفل حوالي الساعة السابعة"، ومن المؤكد أن المعربين قاسوه على بعض الظروف نحو "قبل" و"بعد"، إذ تضاف إلى الزمان والمكان.

وإحالة قرار اللجنة في تخريج "حوالي" على المذكرات المرافقة يعني أنها تجيز فيها ثلاثة تخريجات، أن تكون ظرفاً، والفاعل أو المبتدأ يدل عليه ما يستلزمه لفظ العدد، أو تكون ظرفاً ويجوز فيها حذف الفاعل؛ في التراكيب التي تحتل ذلك، والثالث أن تكون مسنداً، فاعلاً أو مبتدأ، وهذه لا تجتمع في صعيد واحد.

وإذا أردنا أن نبقي راية بيّنة للدلالة في هذه الأساليب المعربة، فعلينا أن نقرّ بشيئين: أولهما أن "حوالي" استعملت في غير المكان، والثاني أنها باقية على ظرفيتها، والفاعل أو المبتدأ يحدده المقام.

* "سار عبّرَ البحار":

* "سار عبّرَ الصحارى":

* "كان النصر حليف العرب عبّرَ التاريخ":

وقد أجازت اللجنة هذا الأسلوب إما على الحقيقة كما جاء في المثالين الأولين، وإما على المجاز كما في المثال الأخير، بتشبيه زمن التاريخ بالمسافة البعيدة التي يقطعها المسافر، أما لفظ "عبّرَ" فهو ظرف حل محله المصدر، أو حال على التأويل باسم الفاعل^(١).

وقد تقدم الشيخ عطية الصوالحي بمذكرة إلى لجنة الألفاظ والأساليب، تناول فيها المعاني المختلفة للفظ "عبّر" في المعاجم، وانتهى إلى أن "العبّر" شق السفر، أي قطعه، والسفر هو قطع المسافة البعيدة، ويكون العبّر إذن هو قطع المسافة البعيدة. وبناء عليه يكون قولهم: "سار عبّرَ البحار ونحوه جارياً على الأسلوب الحقيقي، ولفظ "عبّر" فيه مصدر منكر مؤول باسم الفاعل "عابراً" يعرب حالاً، وهكذا شأن كل مصدر يقع حالاً أن يؤول باسم فاعل، على ما ذهب إليه سيبويه والجمهور. أما الأسلوب الآخر "سار عبّرَ التاريخ"، ونحوه، فصحيح؛ على أنه من باب الاستعارة المكنية، التي تقوم على تشبيه زمن التاريخ السحيق بالمسافة الطويلة التي يقطعها العابر^(٢).

وقد قدم الأستاذ علي النجدي ناصف مذكرة أخرى ألحقها بمذكرة الشيخ الصوالحي، وقد أقره في تخريج "عبّر" على الحال، وزاد وجهاً آخر وهو أنها ظرف مكان ناب عنه المصدر. وتتبع أقوال النحويين، وانتهى إلى قياسية إنابة المصدر عن ظرف المكان^(٣).

(١) أمين، محمد شوقي، كتاب الألفاظ والأساليب: ٢٠٤/١، والفرار في متن الكتاب لا يتضمن ذكر الحال، على أن الفرار الصادر عن المجلس يتضمنه، وينظر: مذكور، إبراهيم، محاضر جلسات المجلس في الدورة (٤١)، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٥: ٢٨٥.

(٢) أمين، محمد شوقي، كتاب الألفاظ والأساليب: ٢٠٥/١. وينظر: محاضر جلسات المجلس في الدورة (٤١): ٣٤١.

(٣) أمين، محمد شوقي، كتاب الألفاظ والأساليب: ٢٠٧/١.

وأنكر عباس حسن تخريج "عبر" على الظرفية في المناقشات، وقال: إن ذلك يفتقر إلى سند من اللغسة، وأردف قائلاً: وأما القول بأن "عبر" حال، فلو كان غير مضاف لهان الأمر، على أن القول بذلك أدنى إلى القبول^(١). وقال إبراهيم أنيس: إن اللفظ فيما يبدو معرب عن كلمة "across" الإنجليزية، وهذا ما يرجح اعتباره ظرفاً^(٢). و"عبر" معرب كما قال إبراهيم أنيس أنفاً، وإذا أردنا أن نتمثل الدلالة الحقيقة لـ "عبر" في هذا الأسلوب فلا معدى عن عدّها مصدرأً ناب عن الظرف، سواء أكان العبور حقيقياً أم مجازياً، وليست غريبة هذه النيابة عن طبيعة اللغة، وكلام ابن مالك، والأشموني، والصبان^(٣)، والسيوطي^(٤)، واضح في ذلك. أما الحال فدلالته ضعيفة من قبيل المعنى أولاً، لا من قبيل الصناعة النحوية، وهو يصرف مركزية الدلالة عن طبيعة العبور ومكانه، إلى صاحبه، والأسلوب لا يعين على هذا المسلك. وجعل هذا الأسلوب موزعاً بين الاستعارة والحال، يسهم في زيادة بعده عن دلالته.

على أن ثمة دلالة يجدر بنا أن نلاحظها في هذا الأسلوب، وأن نتوقف عندها؛ فالمسألة ليست في استخدام "عبر" ظرفاً وحسب، ولكن في طبيعة هذا الاستخدام وسياقه؛ إذ لا يُعمد إلى استخدام "عبر" إلا في المسافات الطويلة، التي لا تخلو من المشقة والعنت، حقيقةً كان هذا العبور أم مجازاً، وهي دلالة خليقة بالتقوية؛ لأن الأسلوب يقوم عليها.

* "ما دام عليّ مجتهداً في دروسه فسيكتب له النجاح:

* "ما دام صاحب الاقتراح قد حضر فلنناقش الموضوع:

وقد أقرت اللجنة هذا الأسلوب، وجعلت تخريجه على أحد وجهين: أن تكون "ما" مقدمة عن تأخير، والثاني أن تكون "ما" زمانية شرطية، كما في قوله تعالى^(٥): فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم^(٦). وقد أشار محمد حسن إلى فريدة هذا الأسلوب من قبيل تقديم "ما دام"، وأن النحاة لا يعرفون هذا الوجه في استخدامها، ويسجل شاهداً فريداً وقع عليه عند الشيخ خالد الأزهرى (ت ٩٠٥هـ)، يشبه الأسلوب المذكور، ويعده امتداداً له وهو:

مادام حافظٌ سِرِّي من وثقتُ بهِ فهو الذي لستُ عنه راعياً أبداً

وقد قدم شوقي ضيف مذكرة دعا فيها إلى تسويغه، مستنداً إلى ما أجازته ابن هشام في المغني من جواز مجيء "ما" الزمانية للشرط^(٧). وقد أجازت لجنة الأساليب هذا الأسلوب على الوجهين المذكورين في القرار، وأضافت وجهاً ثالثاً وهو أن تكون "ما" مصدرية ظرفية، ودام تامة، وبعد عرض الأسلوب على مجلس المجمع اكتفى بالتخريجين الواردين في القرار.

(١) محاضرات جلسات المجلس في الدورة (٤١): ٢٨٥.

(٢) أمين، محمد شوقي، كتاب الألفاظ والأساليب الحاشية: ٢٠٤/١.

(٣) الصبان، حاشية الصبان: ١٩٦/٢.

(٤) السيوطي، الهمع: ١٢٥/٢.

(٥) التوبة: ٧.

(٦) حجازي، مصطفى، في أصول اللغة: ١٣٨ (الدورة ٤٣).

(٧) حجازي، مصطفى، في أصول اللغة: ١٤٢/٣.

وجرت نقاشات حادة بين أعضاء المجمع، أنكر فيها إبراهيم أنيس أن يكون للأسلوب تخريجان، ودعا إلى تخريج واحد، بينما رأى علي النجدي أن الأسلوب من باب التقديم والتأخير؛ قدمت فيه "مادام"، مستنداً إلى إجازة سيبويه التقديم في أسلوب الشرط، مستشهداً بقول زهير^(١):

وإن أتاه خليل يوم مسغبة
يقول لا غائب مالي ولا حرم

وقد أيدته محمد شوقي أمين، وأشار إلى القيمة البلاغية في التقديم والتأخير. وفي كلام علي النجدي خلط فهو لم يذهب إلى الشرط في هذا الأسلوب، ويقول بتقديم "مادام" من تأخير، وقيس التقديم فيه على أسلوب الشرط. وردّ عبد السلام هارون وعباس حسن هذا المذهب؛ لأنه لا يستند إلى قواعد صحيحة، كما ردّ هارون التخريج الثاني، على أن "ما" شرطية، وقال: لم يستعمله أحد من قبل^(٢).

والأسلوب بادي التعريب، و"ما دام" فيه مأخوذة من "as long as" على أن ما ذهب إليه شوقي ضيف من أن "ما" زمانية شرطية، تبعاً لابن هشام، يصف هذا الأسلوب بشكل دقيق، والقول بالتقديم والتأخير فيه من التكلف والتأويل ما لا يخفى، وقياسه على ما ذهب إليه سيبويه في قول زهير أنف الذكر بعيد، فقول سيبويه له سياق، فضلاً عن الخلاف الكبير فيه. ووجود القاء رابطاً بين جزئي هذا الأسلوب يحول دون الأخذ بهذا المذهب، فلا وجه لها إذا ما تصدّرت "ما دام" هذا التركيب.

ولعل الصيمري وهو من نحاة القرن الرابع من أوائل الذين أشاروا إلى إنكار استعمال ما دام متقدمة؛ إذ يقول في الكلام عليها: ولا تكون إلا بعد كلام... ولا تقول مبتدأ: ما مادام زيد قائماً^(٣). أما البيت الذي جاء به الشيخ خالد الأزهرى فلم أقع له على أصل، على كثرة البحث والتقيب، على أن بناءه يشي بحدائقه نسبياً.

ومن اللافت للنظر ورود هذا الأسلوب عند إمام من أئمة التصوف والحديث في القرن الرابع الهجري، وهو محمد بن علي الحكيم الترمذي (ت ٣٢٠هـ) فقد استخدمه غير مرة في كتابه "الأمثال من الكتاب والسنة"، ومن ذلك قوله: "وما دام الأمير محافظاً على إمرته ضابطاً لها.. فأمره مستور وولايته عزيزة"، "وما دام البندار مشرفاً على أمور ديوانه.. فأمره قوي وخزائنه محشوة"، و"ما دام الحرّ كائناً فذلك شأنهن"، و"ما دام الواعظ بهذه الصفة فإجابة القلوب له خوفاً"^(٤).

على أن هذا الاستخدام النادر ليس وراء انتشاره عند الكتاب المحدثين، بل التعريب كما ذكرت، و"ما دام" ههنا ليست مقدمة عن تأخير، ومن ثمّ فهي ليست أداة ربط كما جاء في أحد وجهي القرار، ولا مانع من إساعة هذا الأسلوب وقبوله، على الرغم من أنه لا يبلغ الأسلوب الفصيح.

* "دخل خالد بينما كان علي يتكلم":

أشار قرار المجمع أن بعض الباحثين يخطنون هذا الأسلوب؛ لأن النحاة ينصون على أن "بينما" من كلمات الابتداء، وقد رأيت لجنة الأساليب إجازته، على أساس أن تكون "بينما" للاقتران فقط، ويمكن أن تكون مثل "بين" في

(١) ابن أبي سلمى، زهير (ت ١٣٠ق.هـ/٦٠٩م)، ديوانه، شرح الأعلام، تحقيق فخر الدين قبازة، دار الأفاق الجديدة، ط ٣، ١٩٨٠: ص ١٠٥.

(٢) الترمزي، إبراهيم، محاضر جلسات الدورة (٤٣): ٣٨٤.

(٣) الصيمري، أبو محمد عبدالله بن علي، التبصرة والتذكرة، تحقيق فتحي علي الدين، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٩٨٢: ١٨٩/١.

(٤) الترمذي، أبو عبد الله محمد بن علي (٣٢٠هـ/٩٣٢م)، الأمثال من الكتاب والسنة، تحقيق السيد الجميلي، دار ابن زيدون، بيروت، ط ١، ١٩٨٥: ١٢٦، ١٢٦، ١٢٦، ١٢٩، ٢٣١ على التوالي.

جواز التوسط. وقد استأنست اللجنة بقول ابن منظور في كتاب أخبار أبي نواس: "وبنى لنفسه في نهر طابق الدور التي لم يبين مثلها عظماء الناس، بينما الأصمعي يستقرض من أصحابه حاجته من المال"^(١).

وقد قدم شوقي ضيف مذكرة بين يدي القرار؛ لإساعة هذا الأسلوب، تناول فيها "بينما" و"بينما"، وقاس "بينما" في الأسلوب الذي يستخدمه المعاصرون على "بين" في توسطها. وعرض لقول بعض النحويين أن "بينما" و"بينما" شرطيتان، وأجاز توسطهما، وإن كانا كذلك؛ لأجازه الكوفيين والأخفش الأوسط من البصريين توسط الشرط^(٢).

ودرس علي النجدي ناصف هذا الأسلوب، وذكر أن النحاة قالوا بشرطية "بينما" و"بينما"؛ لوقوعهما في الصدارة، واقتران جوابهما بـ"إذ" و"إذا" الفجائيتين، وانتهى إلى أن "بينما" تستخدم على وجهين؛ شرطاً، فيكون لها الصدارة، وظرفاً محضاً فلا تمتنع من التوسط، كسائر ظروف الزمان^(٣). وفي أثناء المناقشات ردّ عبد السلام هارون هذا الأسلوب، كما رفض التمثّل بقول ابن منظور، لأنه - كما يقول - أحصى له ما يزيد على ألف خطأ، وأبداه أحمد الحوفي وعباس حسن^(٤).

وإذا أردنا أن نتمثل دلالة "بينما" و"بينما" فلا يسعنا أن نجيز الشرط فيهما، تبعاً لبعض النحاة المتأخرين وعلى رأسهم ابن الأثيري^(٥)؛ لأن الشرط تعليق، وهي سمة مفقودة فيهما، واقتران جوابهما بـ"إذا" و"إذ" لا يرفعهما إلى هذا المقام.

وعلى الرغم من استئناس اللجنة في إجازة هذا الأسلوب بقول ابن منظور، المذكور نجد أن التعريب كان وراء إيجاده، ومن أدوات الربط على وجه التحديد، فـ"بينما" تعريب لـ "while"، على أن في الفرنسية نظيراً له وهو "pendant que". وقد أسهم التعريب في جعل مركز الدلالة في هذا الأسلوب الحدث، بينما نرى الاستخدام الأمثل كما عرفه القدماء يجعل الحدث بالمرتبة الثانية بعد التمهيد له بذكر الزمن.

وباختصار فبورة الدلالة في الأسلوب القديم الزمن، بينما تنتقل في الأسلوب المعاصر إلى الحدث. وتغدو "بينما" أداة ربط، فتستغني عن "إذ" و"إذا" اللتين تربطان الجملة حين تتصدرها، وهو أسلوب محدث معرّب توسع الكتاب في استخدامه.

خاتمة

لقد تناول البحث جانباً ذا خطر من جوانب التعريب هو إشكالية في تعريب الأساليب في قرارات لجنة الألفاظ والأساليب في مجمع اللغة العربية في القاهرة، وقد تناول البحث وجهاً معيناً في هذه القضية وهو إشكالية تعريب الرابط في تلك الأساليب. وهي تمثل إشكالية هامة في هذا المجال، لم تولّ الاهتمام المناسب لقيمتها، وأثرها في الحياة اللغوية المعاصرة.

وقد حاول البحث تركيز النظر على أهمية معالجة الأساليب المعرّبة. ولعل الذي بدا جلياً أن نقطة البداية في هذه المسألة إنما هي الإقرار بالأصول الأعجمية للأسلوب موضع النظر؛ وهذا ما غاب عن القرارات كلها، وعن كثير

(١) أمين، محمد شوقي، القرارات الجمعية: ١٩٢ (الدورة ٤٥).

(٢) أمين، محمد شوقي، كتاب الألفاظ والأساليب: ١٣٠/٢.

(٣) أمين، محمد شوقي، كتاب الألفاظ والأساليب: ١٣٢/٢.

(٤) نبيه، عبدالله، إسماعيل، حسني، فريدة إبراهيم، محاضر جلسات المجمع، الدورة (٤٥)، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨٣: ٥٥٤.

(٥) ينظر: أبو حيان، الارتشاف: ٢٣٦/٢، والسيوطي، الهمع: ١٤٩/٢.

من المذكرات والمناقشات؛ ذلك أن هذا الإقرار يريح من التأويلات الكثيرة البعيدة من دلالة ذلك الأسلوب، وإخراجه على أنه من تراث العرب الفصحاء.

وظنُّ بعض أعضاء المجمع أن عدم الاعتراف بالأسلوب المعرب - كما رأينا - إنما هو انتصار للعربية، ونفي تهمة الضعف عنها هو وَهْمٌ كبيرٌ، والذي لم ينتبهوا إليه أن إلباس كثير من الأساليب المعربة لبوس الأساليب الفصحى يضرّ بالعربية أكثر من أن يخدمها؛ ذلك أن كثيراً من تلك الأساليب ركيك، يُسبغ عليه رداء من البلاغة لا يمت إليه بصلّة؛ ولهذا فإن أقوم السبل في هذا المجال أن يميز اللغوي بين الأسلوب الأصيل والأسلوب المعرب، مدخلاً للتعامل معه.

إن طائفة الروابط التي تناولها البحث من أحرف الجرّ والعطف والظروف تظهر قيمة تحديد مفهوم الأسلوب المعرب، كما هو في سياقه الأصيل، كما تظهر الإشكال الذي يحدثه المُعرب حينما يعمد إلى استحداث رابط لا وجود له، في الأسلوب المعرب. وقد بيّن البحث قيمة تعريب الرابط في إحداث بنية تركيبية جديدة في العربية، وقد تبذت هذه القيمة في اتجاهين: اتجاه يغني العربية، ويظهر مكانة هذه اللغة وانفتاحها على اللغات الأخرى، واتجاه آخر يُحدث بني تركيبية غريبة عن اللغة، تمثل إشكالية للناطق والمُعرب.

ومما لا شك فيه أن البحث لم يستقص الأساليب المعربة كلها، غير أن ما يسترعي النظر قلة هذا النمط من الأساليب التي عالجه مجمع اللغة في القاهرة، وعلى الأخص في الجزء الرابع الذي أصدره المجمع من سلسلة "في أصول اللغة" سنة ٢٠٠٣^(١)، بل إننا نجد في هذا الإصدار يبعثون قضايا من بطون الكتب النحوية، نحو: إعراب الاسم المرفوع بعد "إن" الشرطية، والابتداء بالذكرة، وإعراب ضمير الفصل، وإجازة الجر في "كي"، وجواز أن يكون النعت جامداً، وجمع الجمع، وما إلى ذلك، على الرغم من عشرات الأساليب والتراكيب المعربة وغير المعربة التي تنتشر على ألسنة المتقنين وأقلامهم، مما هو أحق بالمناقشة، وأخلق بالتمحيص، فضلاً عن الكتب التي تتناول الأخطاء اللغوية.

وهذا يؤكد مرة أخرى أن المجمع لم يُول هذا الجانب ما يليق بأهميته. على أن الطائفة التي تناولها البحث تمثل جهود المجمع بشكل كبير في هذا الصدد. وهو بمجموعه دعوة للالتفات إلى جانب لغوي هام وهو مسألة تعريب الأساليب، والاعتناء بها، واستحداث مؤسسات خاصة لمعالجتها ومتابعتها، وعدم ترك المُعربين وحدهم يتولّون شأنها، بعدما تبين الخلل الكبير الذي يحدثونه في تعريبهم، وضعف الكثير منهم عن تمثّل دلالة الأساليب المُعربة، ومن ثم سبكاها في قالب عربي مبين، ولا تلبث تلك الأساليب الركيكة أن تشكّل البنية اللغوية والثقافية للمجتمع العربي.

وبعد، فهذا البحث لبنة ندعو الله - سبحانه - أن تكون صالحة لخدمة هذه اللغة العظيمة.

(١) عمر، أحمد مختار، في أصول اللغة، الجزء الرابع، ط١، القاهرة، ٢٠٠٣.